سمية والقمر

مجموعة قصصية

بقلم : نهى عاصم

سمية والقمر

مجموعة قصصية

نهى عاصم

اهداء

إلى كل من شجعني على القراءة منذ نعومة أظافري

إلى أولادي فمنهم تعلمت الكثير

إلى كل من يقرأ وسيقرأ لي

أهدي كتابي

سمية والقمر

12/إبريل/2009

نور والبحر

استيقظت نور على صوت ارتطام الموج على الصخور، وشعرت بالقلق، فالمنبه لم يعمل واليوم أغلى أيام حياتها، إذ ستلد صديقة عمرها علا، ابنتها الأولى، وكانت علا قد حددت مع طبيبها يوم الولادة في هذا اليوم بالذات إذ يوافق عيد ميلاد نور، وهي تقف مع طبيب الولادة في غرفة العمليات ، بصفتها طبيبة الأطفال حديثي الولادة في المستشفى وأيضا صديقة علا.

نظرت إلى الساعة فوجدت أنه لازال الوقت مبكرا فخرجت إلى الشرفة تنظر إلى موج البحر المتلاطم على الصخور داعية الله أن تلد صديقتها بيسر وسهولة وأن تكون الطفلة سليمة معافاة من كل سوء.

ابتسمت وهي ترى ذكريات عمرها تمر كشريط لفيلم سينمائي، كيف التقت بعلا في الروضة حينما كانوا في الرابعة وكيف مرت السنوات وهن كالتوأم، حتى انتهين من الثانوية العامة وذهبت نور إلى كلية الطب أما علا فدخلت كلية نظرية كي تنتهي من الدراسة بسرعة للتزوج من ابن عمها، خطيبها منذ الطفولة.

يمر الشريط لترى نور نفسها تنهي دراستها والماجستير وتعمل في مستشفى خاص بالولادة، كطبيبة للأطفال حديثي الولادة في حين تتزوج علا بابن عمها وتنتظر لسنوات طوال ولا تنجب.

لتنتهي بها رحلة طويلة مع الأطباء إلى الطبيب صاحب المستشفى الذي تعمل به علا، كان رجلا في أواخر الثلاثينيات، مهذبا ومتفان في عمله، يصبرها بكلمات هادئة ويبدأ معها رحلة علاجية لتنتهي بها اليوم في غرفة الولادة لتنجب أول طفل لها.
ابتسمت نور واخذت تتنسم في هدوء رائحة البحر الجميلة وتناست كل ما حولها من صخب السيارات والمارة ومر بخاطرها دكتور علي، صاحب المستشفى الذي تعمل به، ياله من مسكين، فقد زوجته وصار أرملا منذ عامين وله ابنتان صغيرتان يرافقونه أحيانا إلى المستشفى فتداعبهن وتحنو عليهن وتضمهن إليها كما تضم المواليد الصغار حينما يخرجون من بطون أمهاتهن لتتلقاهم بيديها وتحنو عليهم وتبدأ بنفسها في بعض الأحيان بتحميمهم ورعايتهم حتى تأخذهم إلى أحضان أمهاتهم بعدما يستفقن من الآم الولادة.

نظرت نور إلى الساعة ثم توجهت إلى الحمام حيث توضأت وصلت ركعتين لله ثم ذهبت إلي غرفة الجلوس حيث كان والديها ينتظرانها ليفطروا سويًا، قبلتهم نور على جبينهم وجلست تداعبهم وتأكل معهم وبدأ حوار مكرر تسمعه منذ عدة سنوات.

- اليوم عيد ميلادك يا ابنتي، هل تعلمين كم بلغت من العمر؟ ..أصبحت في الخامسة والثلاثون ولازالت دراستك وعملك يقفان عقبة في طريق حيات،.. .تزوجت صديقاتك وأخوتك وأخواتك، حتى علا صديقة عمرك رزقها الله بعد سنوات صبر وستلد اليوم، يا ابنتي لن نعيش أنا ووالدك إلى الأبد.

صمت والد نور كعادته ولم ينظر إليهن فابتسمت نور قائلة" :

- ما تتكلم يا سي بابا.هو أنا بقيت تقيلة عليكم قوي كده؟"

ابتسم والدها بحنان وقال

- أنت في قلبي أحلى نور رزقني الله إياه، ولكن يبدو أن أمك تريد التخلص منك وتزويجك.

نظرت إليهم الأم بغضب وقالت:

- - خرجتم من موضوعنا الأساسي وتمزحون؟ ثم وجهت إلى نور نظرها قائلة : اسمعي لي يا ابنتي جارتنا والدة حسين زميلك اتت بعريس قريب لها ، دكتور في كلية العلوم هو يعمل في الخليج ويريد عروس.

فنظرت إليها نور وقالت :

- أمي حضرتك تعلمين أنني أرفض مبدأ عريس يأتي يراني وإما يحملني متوجها إلى بلد غريبه أو يرفضني باحثا عن غيري
- يا ابنتي هو رجل مواصفاته جيدة مكافح كما ذكروا لي ومتعلم ومثقف، اعطيه فرصة، وافقي ونحدد موعد للمقابلة في أي مكان

قالت لها نور بعدما رأت لون وجهها أحمر وخافت عليها من ارتفاع ضغط دمها.

- هل لنا أن نؤجل هذا الموضوع يا أمي الغالية؟ علي أن أهاتف علا .

قالت الأم :

- علا أغلى من أمك؟ يا ابنتي إجازته أسبوعان فقط ولابد وأن تريه وتختبريه

ابتسمت علا ونظرت إلى والدها الذي كان يحاول أن يهرب بنظراته منها وقالت:

- أوامرك يا أمي.

تهلل وجه الأم مبتسما وقالت لزوجها:

- ألم أقل لك يا محمود ؟ ..ولادة علا ستجعلها تتغير وتحاول رؤية عريس وتوافق عليه وربي يرزقها الذرية الصالحة واطمئن عليها.

ضحكت نور وقالت

- لابد وأن أفر منكم وإلا تزوجت وأنجبت وهرمت في ساعة واحدة.

دخلت نور إلى شرفة غرفتها تحتسي فنجان القهوة ، دوما كانت هذه الشرفة ملجأها طوال السنوات الماضية وحدها ومع علا وأخوتها أحيانا ووالديها، ثم بدأت تتحدث إلى نفسها، هل هذا معقول يا نور؟ توافقي ببساطة على مبدأ رفضتيه أكتر من عشرين مرة السنوات الماضية؟
بعد سنوات قضيتها في الجامعة والماجستير وفي المستشفى، مجرد خوفك على أمك تقومي بالموافقة وتبيعي كل هذا؟
حذرنا طبيب امي من ضغطها المرتفع ومن أي توتر قد يعرض حياتها للخطر ولكن هل ما يحدث الآن قد يؤثر سلبا عليها؟

وترى هل كلامها صحيح؟ هل وافقت بسبب ولادة علا وقررت الموافقة على الفكرة؟ هل كبرت في السن فعلا وفرصتي في الزواج والإنجاب ضعفت؟ أنا طبيبة أعرف هذا بالطبع ولكن !!
استغفر الله العظيم من كل ذنب عظيم و أتوب إليك يا ربي، إن شاء الله تقوم علا بالسلامة وسأصلي استخارة كعادتي في كل أموري، والآن بسم الله توكلت على الله.

تتحدث نور مع علا مكالمة سريعة تشد فيها من أزرها وتزيل مخاوفها وتعدها بأن تذهب

إلى المستشفى في الحال كي تقابلها وقت وصولها مباشرة.
دخلت نور إلى غرفتها لتقرأ ما تيسر لها من القرآن ثم ترتدي ملابسها وتقف أمام المرآة لتلف خمارها حول وجه بيضاوي ملائكي جميل وضاء، اسم على مسمى هي نور واسمها نور...عيونها سوداء وشعرها وحواجبها سود كليل مظلم وجميع ملامحها رقيقه تنم عن جمال هادئ ونور إيماني.
ثم خرجت من غرفتها لتلقي التحية على والديها و تذهب إلى المستشفى حيث سيشهد اليوم ميلاد أجمل و أحلى طفلة في المستشفى"ابنة علا."
وقفت نور أمام رصيف بيتها تنتظر قدوم عم سيد بسيارته الأجرة المتواضعة، وعم سيد سائق تاكسي يكاد من يراه يحسبه عجوزا ولكن عمره لازال لم يتعد التاسعة والخمسين ، وحينما تستمع إلى قصته وكيف مات والده وترك له أخوات بنات كثيرات وكيف صارع في هذه الحياة وتوقف عن حلمه في دراسة هندسة السيارات من أجل أمه و أخواته ، وكيف تنقل من مجرد بلية صبي ميكانيكي لدى محلات ميكانيكا السيارات حتى أصبح لديه ورشة ميكانيكا صغيرة وهذا التاكسي الذي يعمل عليه كلما احتاج للخروج بعيدًا عن حارتهم.
وحينما تنظر إلى وجهه النحيل ترى خطوطا على جبينه ، يحكي كل خط كيف كافح حتى انتهت أخواته من الدراسة وكيف تزوجن وكيف سافرت والدته إلى الحج معه، وكيف سافر هو بعدها بعدة أعوام كي يحج عن والده.
وإذا سالته ألم تتزوج؟ يضحك قائلا : الحمد لله مع كل زواج لأخواتي البنات تزوجت وأنجبت لقد اكتفيت بزواج أخواتي البنات وأبنائهم.
وإذا قلت له الزواج نصف الدين يا رجل، يضحك قائلًا:

- ومن سترضى بعجوز مثلي في التاسعة والخمسين ولديه كل خطوط الوجه هذه؟

وصل عم سيد بصلعته الطيبة إلى بيت نور ونزل كي يفتح لها الباب ولكنها سبقته مبتسمه بهدوئها الملائكي وألقت عليه التحية وأعطته كوب الشاي الذي أعدته بنفسها كعادتها، أخذ عم سيد يدعو لها بالزوج الصالح والذرية الطيبة وهي تبتسم في هدوء.
كان البحر مبشرا بجو ربيعي لطيف ،وأكد السائق على نور أنه سينتظر منها مكالمة على الموبايل في أي وقت كي يأتي بها من المستشفى إلى المنزل فطمأنته أنها ستبيت الليلة في المستشفى من أجل علا.

فتهلل وجهه وابتسم وقال لها ":

- لو جابت ولد خليها تسميه السيد علشان يطلع زي سي السيد كده مش عيل من عيال الأيام دي"

فضحكت وقالت له

- المرة القادمة لأنها ستنجب طفلة هذه المرة يا عم سيد.
- إذن ندعو الله بزواجك وانجابك ولدا يكون رجل مثل جده وأمانة عليك إذا لم يرضيك اسم سيد فلا حرج ولكن لا تطلقي عليه تامر وهاني و"أسامي العيال البسكوت دي"

تضحك نور وتقول

- إن شاء الله يا عم سيد أراك بخير

يودعها عم سيد و يمضي في طريقه.

تدخل نور إلى المستشفى فيسلم عليها كل من فيها من أول سائس السيارات و الأمن والعمال والممرضات والأطباء فتبتسم ابتسامة هادئة وترد سلامهم وتدخل إلى غرفة مدير المستشفى الدكتور علي، للاطمئنان على حالة علا.

- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.
- أهلا يا نور وعليك السلام ورحمة الله وبركاته، كيف حالك؟ أتيت مبكرة اليوم وفي يوم أجازتك ، بالطبع من أجل السيدة علا.

تبتسم نور وتسأله :

- هل لك أن تطمئنني عليها دكتور؟
علا تريد الولادة بالتخدير النصفي كي تكون مستيقظة وقت الولادة وترى ابنتها فهل هناك مشاكل في هذا النوع من التخدير؟

يضحك علي ويرد

- : -لا تقلقي فلة كان هناك أي عيب في هذا النوع من التخدير كنت رفضته ولو كان هناك أي نوع من الخطر على صديقتك كنت سأرفض تواجدك معنا في غرفة العمليات، هيا استعدي لمجيئها ولا تنسي الدعاء لنا جميعا .
- إن شاء الله ، استأذنك.

تخرج نور بعد إلقاء التحية ويفكر دعلي فيها وفي بناته ويتساءل هل يستطيع أن يسألها الزواج ولديه ابنتان وهي شابة وجميلة ولازالت الحياة أمامها كي تتزوج وتنجب؟
ينحي علي أفكاره إلى جانب بعيد في عقله ويبدأ في ارتداء زيه الطبي لتفقد المرضى قبل الدخول إلى غرفة العمليات.
وصلت علا منتفخة متألمة ومبتسمة حالمة في آن واحد، احتضنت نور التي كانت قد قامت بإعداد كل أوراق الدخول للمستشفى و قامت بتجهيز غرفة وضعت بها باقة ورود صغيرة ترحب بها وبالمولودة الصغيرة.

دخلت الفتاتان إلى الغرفة وقامت الممرضة بقياس الضغط والحرارة وأعدتها للعملية وزارها دكتور التخدير.
ثم جلست نور تتحدث مع علا قليلا حتى يأتي دكتور علي.

- ما بك يا نور؟
- لا شيء يا قمر
- أنا علا تحدثي؟
- فيما بعد يا علا سأقص عليك كل شيء بعدما تطوني بخير حال أنت والصغيرة لم تذكري لي ما الاسم الذي اخترته لها؟
- هي مفاجأة لن أقول لك حتى تصبح بين يداي.

دخل زوج علا إلى الغرفة وهو حانق على الزحام قائلا:

- تخيلوا كل هذا الوقت ضاع في البحث عن مكان أضع به سيارتي
- .ألم أقل لك يا محمود الأسهل أمر عليكم مع عم سيد أنا طوال فترة عملي هنا لم استخدم سيارتي.
- لا عليك، كل الوقت يهون من أجلكم ولكنني كنت أريد أن أرى دكتور علي.
- لا تقلق لم يأت بعد.

- عظيم سأنتظره خارجا وأقوم بإجراء بعض المكالمات وأترككم ،أشعر كما لو كانت علا وضعتك على كرسي الاعترافات يا نور.

ابتسمت نور و رفعت يديها إلى السماء وخرج محمود مسرعا قبل أن تصيبه قذيفة لسانية من علا.
والتفتت علا مرة ثانية إلى نور قائلة :

- هيا احكي لي سريعا قبل دخول الدكتور .
- لا شيء يا علا سوى أن جارتنا أم حسين أتت لي بعريس وصممت امي وهددت وأحمر وجهها وخفت عليها ووافقت أن أقابله.
- ياللهول فلتنتظر حتى ألد وأعود لحالتي الطبيعية حتى أراه وأقرر هل نوافق عليه أم نرفضه .

تضحك نور برقة وتقول :

- كلامك صحيح ولكنه في إجازة لعدة أيام ويريد رؤية عروس يخطبها ويسافر .
علا ": نعم؟ نور تتجوز بطريقة 4-2-4 دي؟"
نور :لابد وأن أرضي والدتي.

يدخل محمود مع الدكتور علي وتبتسم علا إبتسامة شريرة وتقول

- يعني حتوافقي تتجوزي بالطريقة دي؟

ثم تبدي وجها متفاجئا وتقول:

- أهلا دكتور على.

يدخل دكتور علي ليجد وجه نور خجلا ينتشر فيه اللون الأحمر، يطمئن على علا ويبلغها أنها سندخل غرفة العمليات بعد ربع ساعة ويخرج حزينا وعلى وجهه ابتسامة هادئة وكأن لسان حاله يردد

- قسمة ونصيب ربي يوفقها.

تنظر نور إلى علا بغيظ وتقول لها

- ما الذي فعلته الآن؟

فتنظر إليها علا ببلاهة وتقول :

- كنت أتحدث معك ولم أري دخولهم علينا.

تصمت نور وتقول

- ويلك مني بعد الولادة.

تبتسم الصديقتان وتخرج نور لتترك علا مع زوجها وتتحضر هي لغرفة العمليات
تدخل نور إلى غرفة التحضيرات لتجد دكتور علي يستعد هو الآخر فتشعر بالخجل و تصمت وتستعد للعملية بهدوء.
في غرفة العمليات تضحك علا وتقول لهم بسخرية :

- يا إلهي جميعكم مرعبين بهذه الكمامات الخضراء ولماذا الغرفة باردة جدا؟

تبتسم نور وتنظر لدكتور علي قائلة

- مريضتك مشاغبة منذ الأزل يا دكتور.

فابتسم علي قائلا

- و أنتي هادئة من يومك يا دكتورة هل هذا ما يطلقون عليه، تلاقي الأضداد؟

تضحك علا وتقول بخبث :

- أترككم في هذا الحديث الشيق ولكن اجلبوا لي قهوة سادة .

يبتسم الجميع وتبدأ إجراءات العملية في هدوء وعلا تتحدث إلى الجميع و أمامها ستارة فوق بطنها مباشرة فلا ترى ما يحدث.
تحاول أن تسأل نور فتبتسم وتقول لها

- أنا مثلك وأجلس إلى جوارك ولا أرى شيء في انتظار خروج طفلتك إلى الدنيا لأتناولها منهم وأضعها بين يديك؟

وبالفعل يناول علي الجنين إلى نور بعد انطلاق بكائها عاليا وتبتسم نور قائلة :

- صوتها مرتفع كأمها.

وتناول نور البيبي الصغيرة إلى أمها لتحتضنها لدقائق ثم تأخذها لتبدأ إجراءات تنظيفها ووضعها في غرفة المواليد فتصرخ علا" :

- خاطفين بنتي ورايحين على فين؟"

فتضحك نور وتقول لها:

- ارتاحي قليلا سأخطفها منك قليلا أحممها وأقوم بتدفئتها ووضع ثياب الأميرات عليها وأعود بها إليك.

تحتضن نور الرضيعة وتشعر باضطراب غريب وكأنها تحتضن ابنتها، نعم بالفعل هي ابنتها فهي ابنة علا الصديقة التي تشاركت معها في كل شيء ولم تبخل عليها حتى بأمها، إذ كانت علا يتيمة منذ طفولتها وكانت تحب أم نور وتجد لديها حنان الأم الذي فقدته وخاصة بعد زواج والدها بامرأة لم تحبها منذ اليوم الأول.
تقوم نور بتحميم الصغيرة وتنظيفها وتختبر كل أعضائها وحواسها برفق وتطمئن عليها ثم تضعها تحت السخان وتتركها لتعود لغرفة العمليات، لتجد محمود عند الباب قلقا فتطمئنه و تأخذه ليرى ابنته الصغيرة عبر الزجاج، يبتسم محمود ويبكي قائلا

- سنوات من الصبر والمكافأة مخلوق صغير جميل مثل هذه؟

تخرج علا من غرفة العمليات متألمة وتقول لنور وسط آلامها ودموعها :

- هل تعلمين؟ سأقتلك بيداي هاتين إن وافقتي على زواجك بمثل هذه الطريقة.

رد محمود :

- اهدأي يا علا وركزي فيما انت فيه الآن.
- وهل من المعقول يا محمود تصبر نور لتتزوج بشخص يأتي من الخارج ليرى عروس و يختار ثم يتركها ليسافر ويرسلونها إليه كما الطرد البريدي؟ هذه الزيجات دوما تفشل ويكون مصيرها الانفصال .
- اهدأي وارتاحي ودعي نور تفكر وتقرر كما تشاء.. أم أنك تغارين لأنها ستتزوج برجل غني يعمل في الخليج وستسافر تاركة إياك بعد هذا العمر.

تترقق عيون علا ونور بالدموع ولا تردان، فيشعر محمود بالحيرة من النساء ويقول:

- كان لابد وأن ننجب طفلا كي تتزن المعادلة فأنتم هكذا فريقا نسائيا ضدي.

يدخل دكتور علي ليطمئن على مريضته فيجد هدوءا غريبا في الغرفة ومشاعر حزينة ولكنه لا يعقب بل يرى مريضته ويطمئن عليها ويبلغها أنه سيراها في المساء و إن احتاجت لاي شيء فعليها أن تتصل به هاتفيا، ويسالها:

- هل قمت باختيار اسم لابنتك؟ كنت مرة قد سألتني عن أسماء بناتي وقلت لك إنهم حنين وسما فهل اخترتي اسم منهم ؟

تنظر علا إلى نور ثم تنظر باسمة إلى علي وتقول :

- وماذا تظن دكتور؟
- أظن أنك ستطلقين عليها اسم صديقة عمرك والله أعلم .

تضحك علا وهي تتألم وتقول

- بعد ما سمعت من نور ما سمعت وما تفكر فيه أظن أنني سأختار اسم ابنة من بناتك.

تشعر نور بالخجل وتود لو تستطيع ضرب صديقتها بأي شيء لولا آلامها، فينظر دكتور علي لنور ويسالها :

- خيرا يا دكتورة هل نويتي الهجرة؟

فترد علا بدلا منها:

- ليت هذا يا دكتور كنت هاجرت معاها ولكن نور أتاها عريس بطريقة الصالونات.

تقاطعها نور:

- دكتور علي مشغول لا يهتم بتخاريف امرأة خرجت حالا من غرفة الولادة، ارتاحي فأقاربك وأصدقاؤك كلهم على وصول بعد قليل.وأنا سأذهب أجلب لك طفلتك حتى تحتضنيها قليلا علك تصمتين .

في اليوم التالي وفي الصباح خرجت علا، وطفلتها الصغيرة نور ،من المستشفى بعد ليلة قضتها ساهرة هي ونور تسترجعان أحداث وسنوات طفولتهن و مرحه ، وعادت نور إلى المنزل كي ترتاح وتعوض ليلة سهرها، وإذ بأمها تقول لها بعد ان ألقت عليها التحية وقبلتها:

- نور، والدة حسين.

حدثتني وقالت

- أنه من الأحسن أن يزورنا دكتور علاء في منزلنا ، لكي تكونوا مرتاحين ونحن إلى جوارك، بدلا من الذهاب لمكان عام .

شعرت نور بانقباض في صدرها ولكنها لم تظهر شيئا لأمها وسألتها:

- وهل تم تحديد الموعد؟

قالت الأم:

- نعم يا بنتي النهارده الساعة السابعة اليوم فلم يتبقى على إجازته سوى أيام .
- حاضر ولكن اسمحي لي أن أقول لك أنني وافقت على رؤيته ولكن هذا لا يعني موافقتي عليه .
- يا ابنتي ستقومي برؤيته وهي تقول هو وسيم وذكي ومتحدث جيد، أكرمك الله اعطه بدلا من الفرصة فرصتين .
- حاضر ربنا ييسر علينا الأمور.

تدخل نور غرفتها لترتاح وتظل الأم تدعي الله العزيز القدير أن يفك أسر ابنتها وأن يتمم هذه الزيجة.

في تمام السادسة والنص كان البيت مجهزا للعريس وكانت نور ترتدي البسيط من الثياب مما أحزن أمها وجلست ترجوها أن تستبدلها ما يليق بالمناسبة وأن تجمل وجهها قليلا تبتسم نور في هدوء وتنظر إلى أبيها تطلب العون فيقول لها الأب

- البنت تريد ارضاء الله وتقوم بالصحيح ونأتي نحن نطالبها بعكس هذا؟ أيضا لا وقت لكل هذه التفاهات وابنتك أحلى مئات المرات بدون هذه الألوان التي تلطخ بها الفتيات وجوههن .

تهمس أمها بكلمات لا تسمعها نور أو والدها فيبتسمان بهدوء ثم تقول الأم:

- حينما يأتي العريس سنجلس في الشرفة ثم سنترككم وندخل لتتحادثوا وتتعارفوا وسنكون إلى جوارك في الغرفة
- ولكن لم هذا؟
- يا ابنتي سنكون إلى جوارك كما قلت لك اعطه فرصة وتعارفي عليه بدون تواجدنا حتى يتباسط معاك.

يرن جرس الباب ويدخل حسين جارهم ومعه العريس وبعد السلام والتعارف ،ينظر الأب إلى العريس طويلا ، ليجده شابا مهندما عادي الملامح يرتدي نظارة طبية ، ويبدأ في الاستماع إليه وهو يتحدث مع الجميع ثم ينظر إلى زوجته بطريقه تفهمها الزوجة وتقف وهي تنبس بالدعوات لتدعو العريس للدخول إلى الشرفة حيث الهواء لطيف ويستأذن حسين في الذهاب إلى والدته ليجلس معها على أن يعود بعد قليل.

يدخل العريس ومعه نور والأم وتستأذن الأم بحجة إعداد الشاي وتجلس نور صامته منتظرة أن يفتح العريس أي موضوع ليتناقشا ولتستمع إليه ولكنه ظل ينظر إليها هو الآخر ولا يتحدث فبدأت تتحدث إليه قائلة:

- الجو جميل الأيام دي وسبحان الله اليوم القمر بدرا مكتملا ونوره جميل.

يتنحنح دكتور علاء ويمسح نظارته للمرة العاشرة ويقول:

- هل تعرفين أن القمر حينما صعدوا إليه وجدوه صخريا مظلما يأخذ نوره من الشمس وكل ما قيل في الشعر وما يردده المخابيل هو محض خيال وتخاريف.

يقول الأب حينها إلى الأم:

- هذه الأولى.

تصمت نور، تدخل الأم بالشاي والحلوى وتضع نور له قطعتين من السكر في فنجانه وقطعة من الحلوى وتجلس في انتظار انتهائه من مسح زجاج نظارته.
يبدأ علاء في تناول الحلوى وشرب الشاي ثم يسألها عن عملها في المستشفى فتبدأ نور بالحديث بكل الحب والحنان عن الصغار الذين تتلقفهم من أيدي أطباء النساء والولادة لترعاهم وتقوم بالسهر عليهم حتى تقوم بتسليمهم إلى أمهاتهم وكيف أنها ..... فيقاطعها علاء قائلا:

- يا ربي كيف تتحملين ضجيجهم؟؟؟ يخرجون إلى الدنيا من أجل البكاء والصراخ وتحويل حياة والديهم لجحيم..

ينظر الأب إلى زوجته ويقول لها:

- وهذه الثانية.

تصمت نور مضطربة لا تعرف ماذا تقول لهذا الرجل فهي لم تتعامل أبدا من قبل مع إنسان مثله، وتتطلع إلى الأمواج وهي تتخبط على الصخور وتشعر بنفسها كموجة تتخبط بشدة على صخور الشاطئ ثم تعود مرة أخرى إلى البحر لتعاود التخبط مرارا وتكرارا.
ثم تعود نور بعينيها إلى دكتور علاء وتبدأ حوارا أخر فتقول

- ألا تحن وانت مسافرا للإسكندرية وشطها وبحرها ورملها؟ أنا أعتقد إنني لا أستطيع فراقها أبدا.

يمسح علاء نظارته من تراب وهمي يعلوها ثم ينظر إليها قائلا

- أساسا هي ستغرق
- *نعم؟*
- إسكندرية ستغرق قريبا جدا وإلى الآن لم يفكر أحد في كيفية التصرف في هذا، على الجميع شراء أرض في الصحراء وبرج العرب وكينج مريوط كما فعلت أنا ويبدأ في النزوح إلى هناك، انت لا تدركين إسكندرية.....

تصمت نور وينظر محمود إلى زوجته قائلا

- التالتة تابتة

"ويهب إلى إنقاذ ابنته الحبيبة من هذا الرجل وتنتهي الزيارة والأم تتوسلها أن تعطه فرصة أخرى ولكن الأب سنهي الحكاية قائلا :

- يا أم نور عماذا تتحدثين؟ فرصة ثانية لمن؟ لا يوجد أي توافق بين ابنتك وهذا الرجل الشامت في غرق الإسكندرية، عليك بالاعتذار لأم حسين فكل هذا قسمة ونصيب ونسأل الله أن يمنحه الزوجة التي تستطيع موافقته على عقليته هذه

ردت الأم:

- ألا تترك ابنتك تتحدث؟
- أنا أعرف ابنتي كما ترين هي أساسا مصدومة من هذا الشيء، انتهى الموضوع يا علية ولن نفتحه ثانية، هيا يا ابنتي نجلس في الشرفة نستمتع بالإسكندرية قليلا قبل أن يغرقها هذا البحر .

مر حوالي أسبوع من زيارة العريس، تذهب نور إلى علا لتصحبها إلى المستشفى ليقوم دكتور علي بفك الغرز الخاصة بالعملية، تجلس علا تتحدث إلى علي وتراقبه بعينيها وهو ينظر إلى نور وهي تحتضن الصغيرة وتهمس لها برقة.

تبتسم علا إبتسامة المتآمرين ثم تدخل إلى غرفة الكشف، ويلحق بها الطبيب مع الممرضة تاركين نور الكبيرة مع الصغيرة في المكتب.
تقول علا فجأة وهي تنظر إلى الطبيب:

- نور رفضت العريس.أو نستطيع أن نقول هو لا يصلح لها نهائيا وهي لا تصلح له، هو يحتاج إلى الزواج بحاسب آلي أو آلة حاسبة ونور أرق من الزواج برجل مثله

يبتسم علي ويرد بهدوء:

- كل شيء قسمة ونصيب وكله خير بأمر الله.
- ونعم بالله طبعا ولكنني أريد لها زيجة طيبة فهي تستحق كل خير يا دكتور والله وتحق لها إنجاب أطفالا فهي حنونة جدا، ألا ترى كيف تحتضن طفلتي؟

يبتسم علي للمرة الثانية ويقول:

- إن شاء الله خير.

يخرج إلى غرفة مكتبه ليجد نور تتحدث إلى الرضيعة كما لو كانت طفلة كبيرة فيبتسم لها ويقول :

- كده أنا في مكتبي نورين مش نور واحد.

تبتسم نور بخجل، فيسألها علي:

- أشعر أنك تعتبرينها ابنت ،انت دوما حنونة مع كل الأولاد حتى بناتي يحبوك ويسألون عنك دوما.
- ربنا يخليهم لحضرتك هم في أجمل عمر.
- أجمل عمر كيف وهم يطلقون علي مائة سؤال في الدقيقة.
- كلنا كان لدينا نفس فضولهم ولا تنسى هم جيل" كمبيوتر وانترنت"

يبتسم علي وتدخل علا لتقول:

- على فكرة يا دكتور علي، محمود كان سيحادثك بعد الظهر ولكنني سأنيب عنه في هذه المهمة، ليتك تشرفنا يوم الجمعة في العجمي في فيلا أهل محمود لحضور العقيقة الخاصة بنور؟ البنات سيفرحن كثيرا لوجود أطفال في مثل عمرهن من سنهم، ونور ستكون موجودة، كيلا تقول لا يوجد من أعرفه في الحفل .أرجوك لا تعتذر من أجل نور الصغيرة.
- إن شاء الله حاكون موجود.

تعطي علا للدكتور العنوان والموعد وتخرج هي وابنتها ونور .تسألها نور:

- ما هذا؟ ولم نقوم بدعوة طبيب الولادة على عقيقة ؟

تخفي علا ملامحها في حضن ابنتها وتقول:

- محمود هو من أصر لأن دكتور علي كان رجلا محترما جدا معنا وراعى ظروفنا المادية كثيرا في كل المصاريف وبالطبع هذا من أجل عيونك يا جميلة وإكراما لك.
- لا أدري ما أقوله ولكن هو إنسان خلوق فعلا ويتعامل مع الناس بكرم.. أكرمه الله
- يا رب وأكرمك وأكرمنا جميعا بما نتمنى.

يأتي يوم الجمعة سريعا وتذهب نور باكرا لمساعدة علا وأهلها في إعدادات العقيقة، وبعد صلاة الجمعة بدأ الأهل والأقارب يتوافدون وجاء والدا نور وأخوتها وأسرهم وبدأ الأطفال في اللعب وجلس الكبار في حلقات يتحدثون سويًا.
دخل علي إلى الفيلا وهو يشعر بالتوتر ممسكا بإيدي ابنتيه الصغيرتين ولكن سرعان ما زال توتره حينما وجد نور تقف لاستقباله والترحيب به.
تجري الفتاتان على نور لتحتضناها وتقبلاها فتحتضنهم وتداعبهم وتقف لتلقي التحية على علي وتسأله إذا كان يحب الانضمام إليها إذ أنها تجلس مع والديها في الظل، يرحب علي بالفكرة وتأخذه نور إليهم ليتعارفوا، ثم تأخذ الفتيات لتعرفهن على بنات اخوتها وتتركهن وتعود إلى والديها وعلي لتجدهم يتناقشون ويتبادلون الابتسامات
تجلس إلى جوار أمها التي تسألها بصوت منخفض:

- ما هذا يا ابنتي ؟ كنت أعتقده عجوز حينما قلتي لي أن زوجته توفاها الله، لم لم تذكري سنه؟
- أمي سنتحدث في هذا فيما بعد.

تصمت أمها وتبدأ في حوار مع علي وتنظر نور إلى والدها فتجده يتحدث معهم باسما وسعيدا ثم يأتي محمود وعلا للترحيب بعلي ويمضي الوقت بهم ما بين الطعام والحديث وينتهي اليوم وتقوم نور لتوديع دكتور علي وتوصيل البنات إلى سيارته ..وعند السيارة وبعد ركوب البنات يسالها علي:

- نور أريد التحدث معك في أمر خاص بي هل تستطيعين زيارتي غدا عند وصولك للمستشفى؟
- حاضر يا دكتور إن شاء الله ،أشوفك على خير.

بعد تبادل التحيات تعود نور إلى علا ساهمة تفكر وإذا بعلا توكزها في خصرها سائلة:

- ماذا قال لك؟
- ماذا قال لي؟ لا شيء مهم.

- رأيتكما سويا تتحادثان، طمأنيني يا ابنتي سأصير عجوزا بسببك ولن استطيع تربية الصغيرة .

تبتسم نور وتقول لها:

- يريدني في أمر يخصه غدا في المستشفى.
- إذن لابد وأن أبدأ في نظام غذائي كي استطيع ارتداء ثوب السهرة الأسود الي قمت بشراءه قبل الحمل .
- لا أفهمك.
- استيقظي أيتها الأميرة النائمة، ستقولين غدا أن علا ابنة فوزية رحمها الله كانت محقة، عندما يسألك الزواج به.
- من؟
- من يا نور يا ابنة خالتي علية ؟ الدكتور علي بالطبع.
- علا انتي أكيد تمرين بحالة نفسية عجيبة بعد الولادة.

- أنا سأمر بها حقا إن لم يكن كلامي هذا صحيح وأنا كلامي دوما في هذه الأمور "مينزلش الأرض "،رأيته طوال الفترة الماضية كيف يكتم مشاعره ولكنه أخيرا تشجع وأنا واثقة سيخطبك في الغد.

تشعر نور بالضياع ولا تستطيع الرد وتضحك علا وتغني لها:

- " حاقابله بكرة"
- علا أرجوك؟
- "معلش القافية وجبت بس "لكن لا تنسي وعدك لي أول طفل تكون بنتا وتسميها علا

مر عامان كاملان على يوم العقيقة وفي شرفة نور نجدها تجلس هي وعلي يحتضنان ولدين توأمين يبلغان من العمر أشهر قليلة وفي الداخل كان الجدان يلهوان مع الفتاتين الصغيرتين .
ينظر علي إلى نور ويقول لها:

- هل تعلمي يا نور؟ اليوم البحر هادئا جدا، حينما يكون كذلك يذكرني بك وبصفاءك وهدؤك ونعومتك.

تنظر إليه نور وتضحك ويخطر على بالها ما حدث منذ عامين في نفس هذه الشرفة وما قيل عن البحر والإسكندرية فيسالها علي:

- لم هذه الضحكة؟

فتقول وضحكاتها تعلو:

- أنا كمان أحب البحر جدا ومنذ عامين وفي نفس هذا الوقت من العام كنت أنظر إلى الموج وأشعر كما الموج التائه يأتي ويذهب بلا هدف.

ينظر إليها علي ويسألها:

- وهل لازال تفكيرك كما هو؟

تضحك نور وتداعب ابنها وتقول: سبحان الله الآن صار لدي أربعة أهداف ووالدهم هو هدفي الأول والأجمل .

22أبريل2009 ,

سمية والقمر

ركبت سمية إلى جوار زوجها في السيارة عائدين من زفاف صغرى بناتها، في الخلف جلست" دادة أمينة "شبه نائمة وعلى وجهها ظل ابتسامة، لازالت حياة الريف تؤثر بها وتشعرها بالرغبة في النوم المبكر وبركته، بالرغم من أنها هجرت الريف وهي طفلة صغيرة وجاءت للعمل عند والدة سمية.

ومرت الأعوام وهي تعمل في البيت وتشعر كما لو كانت فردا من أفراده، إذ تعامل معها الجميع بحب وحنان عوضها فقدها لأهلها، الذين أنجبوها لتعمل وتشقى ويأخذوا هم مالها، وحينما كانت تسافر لهم كانت تشعر أنهم لا ينتظرونها بشوق بل ينتظرون الراتب ولا حاجة لهم بها.

تزوجت أمينة رجلا متزوجا بامرأتين وكانت تخدمهم جميعا وكان دائم الثورة والغضب ودوما ما كان يضربها إذا ما تأخرت عن عمل أي شيء يطلبه، وفي أواخر شهور حملها الأول ضربها بعنف فسقطت وارتطم بطنها بشدة ففقدت جنينها ورحمها فما كان منه إلا أن طلقها وألقى بها خارج بيته حتى من قبل خروجها من المستشفى.

حملت أمينة ملابسها القليلة وعادت إلى بيت والدة سمية، وترجتها ألا تتركها أبدا ووعدتها أن تقوم على خدمتهم وخدمة أحفادها حتى أخر يوم في عمرها.

ومرت السنوات وكبر الأبناء والأحفاد وها هي تحضر زفاف صغرى حفيدات سيدتها.

ابتسمت سمية وأخذت تدعو لوالدتها ووالدها بالرحمة والمغفرة وتساءلت:

- ترى هل يشعر الموتى في قبورهم بفرح أبنائهم و أحفادهم؟

حينما استقيظت سمية في الفجر وقامت إلى الصلاة تحدثت إلى أمها المتوفاة كما كانت تفعل دائما وقالت لها:

- فرح صغرى حفيداتك اليوم يا أمي ،رحمك الله أنت ووالدي ،كم كنت أتمنى وجودكم إلى جواري اليوم، وأنت أيضا يا سلوى ليتك معنا، رحم الله موتانا.

لازال الطريق طويلا حتى البيت، فالقاهرة أصبحت مثل مجمع للمدن، وأهل العريس أصروا أن يكون الفرح في فندق على النيل وبيتهم في آخر القاهرة في إحدى المدن الجديدة.

ابتسمت سمية في هدوء وهي تسمع زوجها حسن يسب بصوت منخفض، أهل زوج ابنتها الصغرى بسبب تعنتهم بإقامة الفرح في اخر القاهرة، نظر زوجها إليها وشاهد ابتسامة تحاول أن تخفيها سريعا، فابتسم وقال:

- ضحكة أخرى وسأجلس بدلا منك على أن تقودي أنت بدلا مني يا امرأة حتى المنزل .

نظرت إليه سمية وعبست بصمت كما لو كانت تعده بعدم تكرار هذه الإبتسامة، وألقت برأسها على كرسي السيارة وهي تتساءل:

- ترى هل نطق لساني حينما كنت طفلة صغيرة باسم زوجي في أول مرة نطقت فيها؟؟

حسن !!!!!!!!!!!!!!!!!!!لا تتذكر سمية أي شيء من ذكريات الطفولة والشباب إلا وكان حسن طرفا فيه، لقد ولدت في بيت العائلة ، وكان جدها وجدتها يحبون البيت الكبير وقاموا بإنشاء طابق لكل ولد من أولادهم.

كان والدا سمية وحسن أخين متزوجين بأختين فجاءت حياة سمية وحسن مترابطة للغاية نتيجة للتربية والنشأة في بيت كبير، حينما ولدت سمية، كان عمر حسن خمس سنوات، كانت هي ناصعة البياض وكان هو أسمر شديد السمرة، وكانت عمتهم تمسك بهم وتضحك قائلة:

- حاسه إني شايله مصر والسودان.

تذكرت سمية سور الشرفة في بيت جديها في الطابق الأول من المبنى وكيف كان هذا السور خطيرا للغاية وتذكرت قول عمتها أنها كانت تحبو وتحبو حتى تصل إلى السور فيجري حسن يشدها من ثيابها ويصرخ طلبا في العون والمساعدة قبل أن تقع، تعلمت سمية على يد حسن كيف تقود الدراجة وكيف تلعب بالبلي وبالنحلة، وكانت دوما تقف حارس مرمى حينما كان يلعب حسن وباقي أخوتهم و أخواتهم في الفريق المضاد لحسن، وكان يغضب منها بشدة إذا ما قام بقذف الكرة إلى المرمى وقامت هي بصدها وكانوا يتجادلون وكانت حجتها، كيف لا تصد كرة وهي حارس مرمى ولا بد و أن تقوم بواجبها؟ وكانت حجته انها لابد و أن تتركه يفوز..

حسن : استيقظن يا هوانم فالسائق وصل بكم إلى المنزل.

ضحكت سمية ونظرت إليه وقالت :

- هل تعتقد أنني نائمة؟ هل تصدق هذا؟ أنام وأنت من يقود ؟ إنها معجزة.
- بالطبع أنا سائق أرعن، لي كل يوم حادث وجدال مع الناس وأحطة سيارتي كل يوم مثلما يفعل" ننى عينك ابنك البكري"

تبتسم سمية ضاحكة وترد دادة أمينة" :

- وهو فيه زي سيدي أحمد؟ ما خلاص بقى كبر وعقل وكلها شهرين وحيخليك جدو يا باشمهندس حسن"

ينظر حسن إليهم ويضحك

- " :لما أنا حابقى جدو انتي حتبقي إيه يا عجوزة؟.. داه انتي من ايام بيت جدي وجدتي ، اللي زيك في متحف الفراعنة متحنط من زمان"

تضحك سمية هي وأمينة من قلوبهن و يصعد الجميع إلى المنزل وتسألهم دادة أمينة إن كانوا يحتاجون إلى شيء؟

تحتضنها سمية وتقول لها

- ارتاحي يا دادة ،سهرت معنا كثيرا اليوم.
- - "مش عارفه حانام ازاي في الأوضة سلمى مش فيها يا بنتي."

تصمت سمية وتشعر بالدموع تكاد تنحدر من عينيها ويزجرهم حسن قائلا :

- لا أريد بكاء ، أوكلما فرحتم تبكون ؟ وكلما حزنتم تبكون؟ هيا بنا لنصلي ركعتين ونقرأ القرآن، اقترب الفجر.

يتحضر الجميع للصلاة وعند الآذان الأول ينزل حسن لصلاة الفجر في جماعة،

إنها نعمة من الله بها عليه منذ سنوات، ولازال يحمد الله عليها ويسأله أن يموت وهو قادر على الصلاة في جماعة.

تنتهي سمية من الصلاة وتجلس بجوار النافذة ترى القمر والحدائق المجاورة لبيتها وتترحم على بيت العائلة القديم.كان مطلا على حدائق وعلى النيل وكانت وهي طفلة تحب أن تصعد إلى سطحه هي والفتيات اخواتها وبنات عماتها و أعمامها يلعبن بعيدا عن صخب الأولاد.

كانت تجلس وقلبها متعلق بحسن بالأسفل تتسائل ماذا يفعل؟؟ كان كلما مر العمر بها تشعر بأنه يبتعد عنها وأصبح يحب الجلوس في مكتبة جده كثيرا يقرأ ويقرأ وكانت أحيانا تجلس إلى جواره صامتة فتدخل الفتيات يتهامسن ويقومون بجرها للعب بعيدا عنه، فكانت أحيانا ترفض وتجلس لتقرأ وتسمع جدها وهو يقرأ القرآن والكتب و أحيانا أخرى تذهب معهن.

كانت من أجمل لحظات حياتها يوم الخميس بعد صلاة العصر إذ كان يأتيهم شيخ المسجد المجاور يحفظهم القرآن وكان جدها يجلس معهم وفي يده خرزانه رفيعه لمن يحاول أن يلهو أو لا يتجاوب مع الشيخ الضرير.

كان الشيخ رحمه الله يقوم بالتسميع لهم في صورة حلقات وكانت بالطبع تجلس في حلقة البنات، وكانت هي ومحمد أقرب إثنين إلى قلبه، حيث أن محمدا كان مجتهدا يسبقهم جميعا، وكانت هي تحاول اللحاق بمحمد حتى أنها كانت تسبق كل الفتيات والفتيان بالرغم من صغر عمرها، وكان دوما يحتفظ في جيبه بقطعتان من الحلوى قائلا" : الواد والبت اللي حيسمعوا أحسن حياخدوا البونبوني اللي في جيبي.. داه أنا جايبه مخصوص لهم."

وبالطبع كانت هي وحسن دوما الفائزين بهذا البونبون<

وحينما كبرت سمية قليلا وبدأت تشعر بأنها تتغير كما حسن، كادت المخاوف أن تقتلها فهي تعرف أن الشباب كلما كبروا كلما تغيرت مشاعرهم تجاه الفتيات وقد يتزوج بغيرها وقد يعجب بزميلته في الجامعة وقد وقد وقد

ألف هاجس وهاجس كانوا يدورون في رأسها وكانت لا تشكو همها سوى للقمر، كانت تتسلل إلى سطح البيت وتجلس على سجادة صغيرة تستند إلى السور وتبدأ في مناجاة القمر، وتفرح جدا بحضور القمر وتحزن إذا ما غاب في أواخر الشهر أو إذا ما غطته

السحابات الشتوية الكثيفة، فهو صديقها الذي تستطيع أن تبثه أسرارها فحسن صار شابا وهي تشعر بالخجل إذا ما جلست إليه ليتحدثوا بحرية كما لو كانوا صغارا.

كما أن الفتيات والفتية يتضاحكون عليهم وهي لا تحب هذا فهذا قد يغضب والديها أو جدتها.. التي أصبحت حزينة منذ توفي جد سمية منذ عدة أشهر.

بدأ الصباح يشق نوره وأخذ القمر في التواري بعيدا عن سماء نافذة سمية وجلست تسبح وتحمد الله على نعمه، وعلى حياتها الطيبة السعيدة التي لم يعكر صفوها سوى ابتلاءات اجتازتها هي وزوجها بصبر وحمد.

دخل حسن ملقيا السلام على زوجته وقال :

- ياللعار بعدما كنا ننام مبكرا لنستيقظ مبكرا، سنذهب إلى النوم في هذا الوقت، ما رأيك أن نذهب إلى النادى نفطر ونمشي قليلا؟ وننتظر حتى صلاة الجمعة ونرتاح لساعتين فقط حتى نضبط نومنا هذا.
- جميل ولكن أنت تعلم عارف أحمد ومحمود وزوجاتهم سيحضرون على الغذاء معنا.
- - لن يحدث هذا ، أولا يعلمون أننا عدنا منذ قليل من الفرح وأنك لابد وأن تكوني مرهقة لا قدرة لك على قضاء يوم كامل في المطبخ؟.. هيا تحضري وأنا سأحادثهم بعد قليل ألغي الغذاء على أن يأتوا إلينا مساء بعدما نرتاح؟
- ولكن يا حسن...

يقاطعها حسن :

- هيا يا امرأة أو سألغي اللقاء معهم اليوم تماما.

تبتسم سمية قائلة

- : السمع والطاعة ولكن سأعلم دادة أمينة بأننا سنذهب.

سارت سمية إلى جوار حسن في النادي وإذا بحسن يقول لها:

- لدي ما أقوله لك ، كنت أحب أن يكون مفاجأة لك ، ولكنني أعلم صدى المفاجآت معك، أنت تعلمين أنني ذاهب إلى مؤتمر في تركيا بإذن الله أول الشهر، أي بعد ثلاثة أسابيع ، وهذه المرة ستكوني معي يا سمية.
- - ولكن يا حسن أنا..
- - كم أتمنى محو كلمة ولكن من اللغة العربية ولكنني موقن أنهم إن محوها ستقوليها بالإنجليزية أو الفرنسية أو حتى التركية، ما هي حجتك هذه المرة يا سمية؟ حرمتي نفسك وحرمتنا سويا من رحلات كتيرة بسبب الأولاد مرة بحجة صغر سنهم ومرة مدارس ومرة امتحانات ومرة مرض ومرة حينما تعرضت ابنتنا سلوى...
- حسن أرجوك.
- يا حبيبتي رحمها الله ورحمنا، ولكن أنا أقصد أنك قمت بتزويج سلمى ومن المفترض أن ترتاحي وهي ستعود من شهر العسل قبل سفرنا بأسبوع، تستطيعي إعداد الأطعمة لها أنت ودادة وترتيب كل الأمور.
- ولكن زوجة أحمد على ستلد قريبا، وزوجة محمود دوما متعبة ولا سند لها سواي فهي يتيمة يا حسن .
- زوجة أحمد ستلد بعد شهرين بأمر الله تعالى ، ومحمود وزوجته تذهب إليهم دادة أو يأتون هم إلى بيتنا وقت السفر.
- لا داده لا تستطيع النوم خارج بيتها، هذا حرام علينا هي امرأة كبيرة.
- أشعر وكأن عليك القلق على أبي وأمي وخالاتك وعماتك والأزواج والأنجال والجيران، كفاك قلقا يا سمية ستهرمين هكذا.
- سأهرم؟ لقد صرت عجوزا يا حسن، ألا ترى كيف أجر قدماي جرا إلى جوارك؟
- ما عاش ولا كان اللي يقول عليكي عجوزة "انت في حاجة إلى رحلة وننتهز الفرصة لشراء ثياب المواليد، فأنا أعلم أنك ستقولين لي أن الأبناء موظفين صغار لا مال لديهم لشراء كل مستلزمات الأطفال، رحلة تسوق تنفقين ما تبقى لي من مال بعد زيجة ابنتك وستعودين شابة كيوم زواجنا.

تضحك سمية قائلة :

- آه يا حسن هو عمر مر.

- أبدا يا أم أحمد أبدا ، لازلت أراك كما اليوم الذي عادت فيه أمك من المستشفى وهي تحملك، كنت كقمر في ليلة تمامه ومولودة في ليلة تمام القمر، ترى من أجل هذا هناك وما بينك وبين القمر أسرار؟
- هذا سر بيني وبينه لا يمكن أن أكشفه.

يضحك الإثنان ويقرران العودة إلى المنزل لشرب القهوة من يدي دادة أمينة.

تنتهي صلاة الجمعة ويعود حسن إلى المنزل يجلس إلى مكتبه يراجع بعض الأشياء الخاصة بمكتبه الهندسي ويتحدث هاتفيا إلى ابنه أحمد بشأن أمر ما خاص بالمكتب فيقول له أحمد :

- اليوم هو يوم الجمعة يا أبي يوم إجازتنا وأمي علمتك دوما أن يوم الإجازة لا يتدخل العمل فيه، وبالتالي أنا أيضا في إجازة لا أتناقش في عمل وسأراك غدا في العمل بصفتك مديري واليوم بعد المغرب بصفتك والدي.

يسبه حسن مداعبا إياه ويغلق السماعة ويبدأ في الإتصال بمحمود ولكنه عرف المحصلة وما سيسمعه منه عن الإجازة وكيف كانت سمية تمنعهم عن التحدث في شؤون العمل.

افتقد حسن زوجته الجميلة المرحة خفيفة الظل منذ أن ماتت ابنتهم سلوى..كانت سلوى تكبر سلمى بعامين وكانت جميلة شديدة البياض تشبه أمها وأختها الصغرى في حين كان الصبيان يشبهونه له هو، وكانوا يتضاحكون أن في المنزل فريقين، فريق أبيض وفريق أسمر..يبتسم حسن بحزن ويترحم على ابنته الصغيرة، التي ماتت وعمرها سبعة عشر عاما بعد عامين طوال قضتهم بين المستشفيات و أسرة المرض، وبعد أن سلبها المرض كل قدرة لها، ماتت الصغيرة وهي نائمة في هدوء وانكسرت سمية بموتها ولم تعد سمية الحبيبة التي شبت إلى جواره ملتصقة به في خفة ظل ومرح وشقاوة محببة إلى النفس جعلته يحبها دونا عن كل الفتيات اللاتي كن من حوله سواء في البيت أو الجامعة أو العمل بعدما تخرج.

آه يا سمية لو أستطيع العودة بالزمن فأطلب من الله إن يشفي سلوى وأتوسله بكل ما لدي من طاقة للتوسل والبكاء.

ولكن هو القدر و أنت رضيتي به بإيمان عال ورضا أحمد الله عليه، حتى أنك كنتي من أخذ بأيدينا جميعا، وساعدتينا على الخروج من الحزن عليها، ولكنك انطفأتي منذ موتها.

تدخل سمية إلى المكتب وتطقطق بلسانها :

- عمل يوم جمعة؟
- هذا ما لا يد لي فيه، فرح الأمس منعني من انتهاء الأعمال ولم أجلس إلا ساعة وهناك أشياء كان لابد من الإنتهاء منها، واليوم استمعت إلى محاضرة عن يوم الأجازة من ابنك الكبير وكلي ثقة أن الصغير يحفظها هو أيضا.

ترد سمية ضاحكة" :

- ولادي طمرت فيهم التربية "أتمنى من الله أن تعلم سلمى زوجها هذه العادة هي الأخرى.
- لا تخافي هو معجب بهذه الطقوس وأنت تأثيرك عجيب عليهم جميعا.
- إذن هيا بنا للغذاء، هو بواقي أطعمة لم أقم بعمل طعام اليوم،كما نصحتني.
- الحمد لله أنا لا أريد سوى راحتك يا سمسمة.

يدخل حسن ليرتاح بعد صلاة العصر ويطلب من سمية أن توقظه بعد ساعة حتى يقرأ القرآن ويسبح ويذكر الله حتى صلاة المغرب.

تجلس سمية إلى الكمبيوتر لتقوم بنقل صور الفرح من الكاميرا إلى الكمبيوتر وتبتسم وهي تنظر إلى أسرتها وأهلها ووالدي حسن، خالتها وعمها، وإلى كل من بالصور من صغار وكبار، وتنظر إلى ابنتها الجميلة سلمى، وتتذكر يوم طلبها حسن للزواج، كانت في سنتها الأولى بكلية الآداب قسم اللغة الإنجليزية وكان هو قد تخرج من الجامعة بعد سنوات دراسية طويلة في كلية الهندسة، سنوات كانت تجلس واضعة يدها على قلبها أن يفاجئها يوما بصورة لحبيبته أو من سيتزوج بها، ولكن وسط القلق كانت ترى في عينيه وعد وعهد أمام الله وسيفي به، كانت تقرأ ما بعينيه وتنظر إليه وهي خجلة لترد إليه عهده بالانتظار..

في هذا اليوم كانت تذاكر أيام الامتحانات واستأذن حسن من والدتها أن يدخل للتحدث معها، كانت والدتها تعلم ما يريده وتباركه فابتسمت، وقالت له :

- في أي شيء ستتحدث؟ هيا انزل لشراء الشبكة وخاتمي الزواج.
- فلننتظر لتوافق العروس يا خالتي ، وهي لازالت صغيرة في عامها الجامعي الأول .
- وما المشكلة، تزوجوا وأنا أساعدكم حتى تنتهي من دراستها وفي الأول والآخر "البنت لبيتها "كما يقولون يا ولدي.

يدخل حسن مبتسما إلى سمية وكانت تجلس ومعها أخوتها في غرفة الجلوس فيطلب منها أن يتحدث إليها في الصالة، فتبتسم اختاها ويضحك أخوها معلقا على ما يحدث" :

- مش ناقص إلا دادة أمينة تزغرد.انت لسه حتسألها؟ دي رايداك من اللفه يا بني."
- بس برضه العروسة محتاجة تتكلم وتقول حاجه والا حتغصبوها عالجوازة يا عيال؟؟"

تضحك الفتيات ويقمن بالغناء" :

- مبروك عليكي عريسك الخفة يا عروسة يا مزينة الزفة."

تجري سمية خجلا إلى غرفتها ويسبهم حسن ويجري إلى خالته لنجدته فتدخل إلى سمية لتشدها وتجرها جرا إلى الصالة، فتجذب سمية يدها وتقول لها

- : أرجوك يا أمي انتظري معنا.

يضحك حسن قائلا :

- انتظري معنا يا خالتي، هل نحن في حاجة لكل هذه الأفلام الهندية يا سمية؟ هيا قولي قبلت بك لنعقد قراننا كي استطيع أن أتحدث إليك وحينها سأجلب لك الورود وأقرأ لك الأشعار ممسكا بيدك قائلا:القمر يشهد على حبنا والنجوم تتلألأ لنا، مالي أراك خجلى، أنا سأفعل كل هذا بعد عقد القرآن.

تضحك الأم وتقول :

- ازغرد يا سمية يا ابنتي؟؟
- كما تريدين يا أمي.
- رحم الله والدك كان دوما يقول لي : كا تريدين يا أم حماده،على بركة الله.

تزغرد الأم ويأت الجميع على صوت الزغاريد ويصير البيت كله يعج بالضحكات والصرخات الفرحة وتترحم الجدة على زوجها وابنها أبي سمية ولسان حالها يسأل، ترى هل تشعر بأن ابنتك ستتزوج يا ابني؟ وانت يا زوجي العزيز هل تشعر بزواج أحفادك؟؟ تدخل سمية تحتضن جدتها وتبكي في حضنها تسألها :

- هل يشعرون بفرحنا يا جدتي؟

فتقول الجدة

- سبحان من يعلم شأنهم يا ابنتي ادعي لهم بالمغفرة ونور القبور.

تنظر سمية إلى صورة لها ولحسن التقطها أحدهم لهم وهم واقفون إلى جوار العريس والعروسة ومعها أحمد ومحمود وزوجتاهم وتطلب من الله أن يربط على قلبها ويصبرها فهي لازالت تفتقد سلوى وبشدة وتشعر بها وكأنها لازالت مراهقة صغيرة تجري لها لتنبأها بنجاحها في الإعدادية فتمر أيام وتبدأ في المرض وتهجر سلوى الدراسة حتى تذبل وتموت.

تذكرت سمية يوم كانت تصلي الفجر راجية الله أن يرحم ابنتها من هذا العذاب وهي تعلم يقينا أنها ستموت في خلال أيام كما قال الأطباء ولكنها كانت تأمل أن يعجل ربنا براحتها وموتها فطفلتها تتعذب وصارت في حجم الطفل البالغ من العمر سنوات قلال.

صلت سمية الفجر وقامت إلى سرير ابنتها المجاور ونظرت إليها وقبلتها في جبينها فشعرت بها باردة ،شدت حبل استدعاء الممرضة وهي تشعر أن الله قبض روح ابنتها ورحمها من عذابها الطويل وبالفعل عرفت أنها ماتت.

بعد وفاة سلوى كانت سمية منشغلة بمساندة زوجها وأبنائها وسلمى التي كانت منهارة بفقد أختها الكبرى، فكانت دوما كلما اجتمعوا تصبرهم وتقول لزوجها :

- لا تحزن يا حسن لقد صبرنا وربنا بنى لنا بيتا في الجنة أسماه بيت الحمد هل تتذكر هذا الحديث يا حسن؟

عن أبي موسى الأشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " إذا مات ولد العبد قال الله تعالى لملائكته أقبضتم ولد عبدي؟ قالوا نعم، قال أقبضتم ثمرة فؤاده؟ قالوا نعم، فماذا قال عبدي؟ قالوا استرجع وحمدك قال :ابنوا له بيتاً في الجنة وسموه بيت الحمد، يا الله يا حسن لدينا بيتا في الجنة أي أننا من أهل الجنة إن شاء الله.

تبكي سمية ابنتها الجميلة في هدوء ثم تقوم بإرسال صور الزفاف لحازم ابن أختها على الإيميل، فهو لم يستطع المجيء إذ لديه امتحانات الدكتوراه في أمريكا وقامت لتنفض عنها الأحزان متذكرة السنوات الجميلة التي قضتها منذ زواجها وحياتها السعيدة الراضية مع حسن، حسن الذي كان كلما مر عليها يوم تحبه أكثر وأكثر لأخلاقه وتدينه وحبه للخير وللناس وحبه لها وتلوم نفسها على انشغالها عنه دوما بالأولاد وبسلوى..

تمر عدة ساعات وتدخل زوجات الأبناء يسلمن على سمية وكانت منى زوجة أحمد تتحرك بصعوبة كما لو كانت تحمل عدة أجنة في بطنها وليس جنينا واحدا، أما أمل زوجة محمود فهي تشعرك بأنها طفلة صغيرة وليست زوجة وحامل في شهورها الأولى..كانت سمية وحسن قد زوجوا أبناؤهم بمجرد أن انتهوا من التجنيد فهذا أصلح لهم كثيرا.

مرت ربع ساعة وانتهى الرجال من صلاة الجماعة وامتلأ البيت بالهرج والأصوات حتى ألقي حسن عليهم خبر سفر سمية معه.

صمت الكل لعدة ثوان ثم انطلقوا جميعا يتحدثون مرة واحدة فصفق لهم الوالد قائلا:

- مهما كبرتم ستظلوا مثل الغجر تحدثوا بهدوء حتى أفهمكم.
- خيرا يا والدي لماذا ستسافر أمي معك؟

أردف محمود :

- هل أنت مريضة يا أمي وتخفين عنا خبر مرضك؟

تبتسم سمية وتنظر لحسن تستنجد به.

فرد حسن :

- مريضة بماذا يا فتى ؟ هي كما القمر.

صاح أحمد:

- الله الله على وصلة الغزل ،هل ستسافرون لقضاء شهر للعسل؟ تغيرون من سلمى وزوجها؟

رد حسن :

- أو لا يكفيكم أنني تركت لكم سمية سنوات طويلة، ومن حقنا السفر والاستمتاع سويا؟

فرد محمود:

- ولكنكم سافرتم عدة مرات لأداء الحج والعمرة سويا.

وأكمل أحمد الحديث مع والده

- يا ابني أقول شهر عسل وتقول عمرة وحج ، انتظر كي نفهم.
- الموضوع سابق لأوانه ولكن سيكون زوج أختكم عاد إلى المكتب وسأتفق معكم على موعد معين يوميا لنتحادث سويا عبر الإنترنت كي اطمئن عليكم وعلى حال العمل.
- سيكون لديك عندك مؤتمر وستنشغل كثيرا فماذا ستفعل أمي في هذا الوقت؟
- ستقوم بالتجول في الأسواق لشراء مستلزمات أولادكم والهدايا وتفلسني بالطبع.

تبدأ منى وأمل في الحديث بعد صمت ويأخذن في التحدث مع سمية حول ما ستشتريه من ملابس للأطفال وله، فينظر الرجال إليهم شاعرين بالملل من هذا الحديث وينظر إليهم أبوهم مبتسما قائلا

- إنهن النساء ماذا نقول؟

بعد نزول الأبناء و بعد أن عم الهدوء المنزل نظر حسن إلى زوجته قائلا :

- ترى يا سمية بعد كم عام سيأتي علينا يوم جمعة ومنزلنا هذا يغص بالحفيدات والأحفاد؟

تبتسم سمية قائلة :

- حفظك ربي وإياهم.
- وإياك يا سمسمه ..فكري معي ترى سنجد منهم حفيد وحفيدة يتحابون كما فعلنا ويعيشون على أمل أن يجمعهم ربي بزيجة كما كنا نحن؟
- كله بأمر الله يا حسن أمد الله في عمرك كل تسعد بهم وبزواجهم وترى أولادهم أيضا .
- لو كانت سلوى موجودة اليوم لكانت متجوزة بحازم ابن اختك.
- حكم الله يا حسن وهو رضى بحكم الله وقضائه مثلنا.
- آه يا سمية كم تمنيت لو تزوج بسلمى ولكن قلت ولم أظلمهم.

وفرحت جدا حينما زارك يستأذنك أن يخطب وعلمت أن السنوات استطاعت أن تنسيه الأحزان وأن الذكريات الحلوة دوما تظل في قلوبنا ، وبالفعل كما كانت جدتنا تردد :

- أهلنا الموتى حاسيين بفرحنا وفرحانين لنا" ترى يا سمية هل فرحت سلوى بزواج حازم؟
- أكيد ولا تنسى هيوالله أعلم ستكون عروسه في السماء وهي تتجمل في انتظاره في الجنة إن شاء الله.

يبتسم حسن والدموع تملأ عينيه ويقول

- دعينا نفكر الآن أين أذهب بك في تركيا؟
- ألازلت مصمما على هذه الرحلة يا حسن؟
- نعم يا سمسمة ، لقد عشنا وانشغلنا سنوات طويلة حرمت فيها من الكثير وضحيت كثيرا ، فدعيني أحاول تعويضك ولو قليلا.
- هل تعلم يا حسن: انت أغلى هدية أهداني الله إياها ؟؟
- أنا أم القمر؟؟؟
- انت طبعا ،القمر كنت دوما الجأ له كي أحكي له عنك.
- واليوم ماذا ستقولي له؟
- سأقول له : سأنشغل عنك بحسن كثيرا في السنوات المقبلة ولكن كلما التقيتك سوف أحكي لك عنه.
- لا حرمني الله منك يا أحلى قمر.

مـــــــي والمطـــــــــر

ها قد أتى فصل الشتاء أخيرا، كم أحبه..
اعتادت مي وهي طفلة أن تغني فرحا بالمطر ودوما تخترع أي سبب للنزول فتستقبل زخاته بفرح و تفاؤل، كانت أمها دوما تحذرها من خطر الإصابة بالبرد ولكنها لم تكن تبالي ، كانت تحب أن تستقبل قطرات المطر على وجهها وترفع رأسها للسماء مبتهلة بهذا الرزق الرباني ..
ولدت مي وفي فمها ملعقة من ذهب كما يقولون، لم تستطع أمها الإنجاب بعدها فاكتفت هي ووالدها بها، كان والداها على قدر عال من الثقافة والغنى والمكانة الإجتماعية وأيضا على قدر طيب من التدين والخوف من الله
دللها أبوها دون أن يفسدها وقام بتحفيظها القرآن الكريم كما حفظه من المشايخ في طفولته ومع دخولها سن المراهقة لم تعد تنزل إلى الشارع لتلهو بالمطر، بل أصبحت تفتح شباك منزلها لتستقبله وإذا نزلت تمسك المظلة الأنيقة مجبرة.

وبعد دلال على والدها قام الوالد بتغيير غرفتها لتطل على حديقة الشلالات الغنية بالخضرة فكانت إذا ما أمطرت الدنيا تجلس خلف النافذة ترقب هذا الجمال هائمة وترى كم تحيي قطرات الماء النباتات والخضرة وتغيرهم إلى صورة نضرة.

أصيب والدها بأزمة قلبية مفاجئة ومات وهو نائم قرير العين والقلب وفي أيام العزاء كانت صديقة مي، نهال تزورها يوميا وتجلب لها الدروس والمواد التي قاموا بدراستها وتقوم بمواساتها ومساعدتها بصورة رائعة.
و بالرغم من تفاوت المستوى بين أهل مي الأغنياء وأهل نهال متوسطي الحال إلا أن تواضع مي وحبها لكل الناس لم يقف حاجزا بين علاقتهم الجميلة كما أن تدين نهال لم يجعلها تشعر ولو للحظة بهذا التفاوت أو بالحسد لصديقتها الحميمة.
كانت مي تحب اللهو البريء مع الفتيات وكان اسم شهرتها بينهن:
" Miss Sunshine"

حيث كانت مشرقة كالشمس تدخل إلى أي مكان فيشع إشراقا، ومن هنا تقاربت الفتاتان كثيرا حيث كن يحبن الضحك والمزاح المهذب فكانوا بهجة بين جميع الرفيقات.

في عيد ميلاد نهال السادس عشر سمحت الأم لمي للمرة الأولى بالذهاب إلى بيت نهال لتقضية ساعتان معها وهناك تعرفت مي على أخي نهال الكبير، محمد الذي كان طالبا في كلية الطب ويكبرها بعدة سنوات، إلا أن هذا لم يمنع ضربات قلبها من التزايد لحظة رؤيتها له وظلت طوال الزيارة تشعر بنظراته تحوم حولها بحذر، وكلما نظرت حولها تجده يتطلع إليها بوجه تضيئه ابتسامة خجلى.

ومضى عامان ونجحت الفتيات في الثانوية العامة والتحقن بكلية الآداب قسم علم النفس، وانتهى محمد من دراسته بامتياز وأصبح معيدا بالجامعة، وكان في بعض الأحيان ينتهي من عمله ليذهب إلى الفتاتان في الجامعة لتوصيلهن، وفي أحد الأيام أمطرت السماء بشدة و أخذت الفتاتان تطالبان محمد وتتوسلانه أن يقف بهما بالسيارة عند البحر ليراقباه وقت نزول المطر، وبالفعل توقفوا عند البحر وجلسوا فوق أحد الكراسي الموضوعة عند أرصفة البحر والمظلة.
جلست مي على طرف الكرسي ومحمد على الطرف الأخر في حين وقفت نهال تنظر إلى البحر وتبتسم بذكاء، نظر محمد إلى مي قائلا:

- سأسافر في بعثة للجامعة للحصول على الماجستير والدكتوراه لعدة سنوات يا مي إن شاء الله.

شعرت مي بصدمة ولم تستطع حتى أن تنظر إليه، ابتسم محمد بحزن وقال :

- انت في السنة الأولى ولازال أمامك سنوات دراسية طويلة، وأنا سآتي في أجازة سنوية وغالبا في هذا الوقت من العام حيث لديهم أجازات الأعياد، الطويلة إن شاء الله عز وجل فهل ستنتظريني يا مي؟
تعلمين ما أشعر به تجاهك ولولا سفري لم أكن لأصرح لك بمشاعري فالفارق بيننا في المستوى الإجتماعي.

قاطعته مي بحدة

- عن اي فارق تتحدث يا محمد؟ نحن نتعامل بمبدأ انه الفارق في التقوى وأنا لا أزكيك على الله أحسبك على خير.

نظر إليها محمد مبتسما بشفقة وقال :

- هذا ما يؤمن به البعض وليس الكل يا مي ولكن حينما انتهي من دراستي سيكون حالي أحسن من هذا ويمكنني من التقدم إلى والدتك بكل ثقة.
- ستغيب طويلا؟
- كما قلت لك سأعود كل عام في هذا الوقت وساقابلك هنا في نفس اليوم وعلى نفس الكرسي.

تنظر مي إلى ساعتها وتسجل التاريخ في قلبها قبل عقلها وتبدأ الدموع في التجمع والإنهمار، فيقول لها محمد :

- لا تجعلي آخر صورة لك في عيني وجهك الممتلأ بالدموع يا مي، ستمر الايام سريعا وسترين، هيا حتى لا تتأخري على والدتك، سأرسل دوما رسائل لنهال وليتك تقرأيها معها فستكون لكما أنتما الاثنتان، سأودعك الآن ولا ادري هل سأراك قبل سفري أم لا.
- أستودع الله دينك و أمانتك وخواتيم أعمالك، زودك الله التقوى وغفر ذنبك ويسر لك الخير حيثما كنت.

بعد يومين استأذن محمد والدة مي أن يزور خالها قبل سفره وذهب إليه ليخطب مي بصورة غير رسمية على ان تكون الخطبة رسمية بعد انتهائه من الماجستير، ولكن خالها حسين بك رد عليه بمنتهى الأدب والدبلوماسية:

- ولكن يا بني مي مخطوبة لابن عمها وتمت قراءة الفاتحة منذ عام، ومنذ مات والدها رحمه الله وعمها متحكم في ميراثها وميراث أختي، وأعتقد إننا إذا ما أخلينا بالاتفاق فهذا قد يجعل عمها يحرمهم من الميراث، وهي تحتاج لهذا الميراث لأنه سيكون سندا لها وأنت تعلم أنها منعمة منذ ولادتها، ولا أعتقد أنها ستستطيع التكيف معك..لماذا تطلق لحيتك يا بني؟
- اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم.
- ولكن انت مسافر للدراسة خارج البلاد والأحسن لك حلاقتها.
- الهيبيز هناك يطلقون لحيتهم في كل مكان ولا يجبرهم أحد على حلاقتها.

- كما تشاء ولكن لي طلب عندك قبل رحيلك، أتمنى لو كنت متفق مع مي على أي شيء أن تعلنها بأنك تسحب عهدك، فهي إن اختارتك ستتأذى ولا أظن أنك تحب لها هذا خاصة وهي ليست معتادة على الفقر.

رد محمد بكل تهذيب مبتلعا الإهانة :

- طبعا بمجرد وصولي أمريكا سأرسل لها أحلها من أي ارتباط بيننا.
- أنا كنت واثق من انك عاقل ، وعلى فكرة عميد كلية الطب ابن خال والدي إذا ما أردت أي وساطة فلا تتردد؟

فهم محمد التهديد الخفي في كلام حسين بك وشكره على اهتمامه الجم واستأذن للخروج.

مرت عدة أشهر وانتهت مي من امتحانات عامها الدراسي الأول وبعد يومين اتصلت نهال بها تطلب منها أن يتقابلا في أي مكان، كانت مي تقرأ قصيدة حبيبتي والمطر وتبكي متوجسة وهي تقرا الكلمات:
أخاف أن تمطر الدنيا ولست معي
فمنذ غبت وعندي عقدة المطر..
وعند اللقاء كانت نهال متورمة العينين تبكي فاحتضنتها مي وهي تتسائل عما حدث؟
أخرجت رسالة من حقيبتها وهي صامته وجلستا لتقرأ مي الرسالة وتبكي غير مصدقة

- كيف هذا؟ معقول؟ بعد أشهر من كلامنا يقول :أنا لست بأهل لك ودون مستواك وانت لا يليق بك سوى واحد غني من طينتك؟ وأنا أريد أن أكمل دراسة بجدية ولا أريد أي مشاعر تشغلني وتضيع وقتي ..وكلامه ووعوده لي؟؟؟
- سامحيني يا مي أعلم إنك أكيد تكرهيني لأنني سبب معرفته بك.
- وماذا ذنبك؟ أرجوك لا ترددي مثل هذا الكلام.
- نحن غير مصدقين كلامه ووالدتي تخاف أن تكون واحدة أجنبية فتنته في دينه وأخلاقه.
- ربي يحفظه ،لا نملك له سوى الدعاء.

وتمر السنوات وها هي مي اصبحت زوجة لابن عمها كما كان متوقعا في العائلة منذ صغرهم، زواج أقارب لا عاطفة فيه ولا حب .

حتى أن مي لم تستطع يوما أن تلوم زوجها على الفتور الذي بينهما فالإثنان تزوجا نزولا على رغبة الآباء وخوفا على الميراث وخاصة أن يذهب ميراث مي لرجل غريب فتضيع الأراضي والأعمال المشتركة في العائلة منذ أجيال.

وبمرور السنوات أصبحت مي أم لفتاة مراهقة وولدين توأمين يصغرانها بأعوام قليلة، وفجأة يمرض زوجها مرضا خطيرا يستهلك عمره يوما بعد يوم ويموت في يوم ربيعي هادىء تاركا إياها امرأة في منتصف العمر.

بعد أسابيع من موت زوجها تجلس معها أمها تريدها في أمر هام وتصارحها بما حدث منذ سنوات طويلة مع محمد وخالها، فتشعر مي بالصدمة وتبكي وتسال أمها :

- لماذا لم تسألوني الاختيار؟؟
- كنت ستحرمين من نعمة انت فيها وكان أولادك سينشأون في مدارس حكومية وتعيشين فقيرة؟
- انتهى الموضوع يا أمي وبسببكم انسحبت نهال من حياتي وحينما تزوجت وسافرت لم أعلم إلا من خلال صديقة لنا في الجامعة، حقا يا أمي انتهى الأمر.
- سامحيانا يا ابنتي وسامحي خالك رحمه الله،أنا واثقه إنك لم تندمي.
- ولم الندم وأولادي جنتي على الأرض.
- ولكن ابن عمك رحمه الله كان بلا قلب مثل أبيه .
- أمر توقفي لا جدوى من البكاء على الماض، ولاتنسي هو أيضا أجبر على هذه الزيجة، وربما كان يحب سواي.

تمضي الأسابيع وتدخل سارة ابنة مي عليها في غرفتها قائلة:

- ماما ألم تنته عدتك؟
- نعم يا سارة منذ يومان.
- إذن حضرتك ملتزمة وتحفظين القرآن وتعلمي جيدا أنه عليك التوقف عن ارتداء ثياب الحداد؟
- يا قرة عيني الناس لا يعلمون هذا أو يتغافلون عنه.

- أيام الرسول ،صلى الله عليه وسلم، كانت المرأة تنتهي من عدتها وتعرض نفسها للزواج.

تضحك مي وتقول :

- الله الله إذن أبدأ في عرض نفسي للزواج؟
- والله يا أمي تقدم لك عريس من المسجد، عم صديقتي أرمل ولديه ابنة في عمرنا ولكنني قلت لها أن تنتظر حتى تنتهي عدتك كما يقول القرآن .
- سارة يا حبيبتي هل أنت مدركة لكلامك هذا؟ أتزوج؟ كيف هذا؟ لقد اقترب عمري من الأربعين.
- وماذا في ذلك؟ انت لازلت شابة وأنا أعلم أن زواجك من أبي كان بسبب العائلة والميراث، جدتي قالت..

تقاطعها مي قائلة :

- جدتك يا سارة تحب الحديث عن الماضي وعليك عدم الاستماع لها أرجوك خاصة ما يخصنا أنا ووالدك .
- اعتذر يا أمي ولكن أنت ظلمت مرتان وأنا أشعر بك، مرة حينما حرمت من إنسان كنت تحبيه ومرة حينما تزوجت بوالدي.
- سارة لا تنسي من تتحدثين عنه هو والدك رحمه الله وانت يا بنتي لازلت صغيرة حكمك على الأمور في هذا السن يكون نابعا من القلب والمشاعر.
- كنت أصغر مني حينما أحببت يا أمي وفي عمري حينما وعدته بالإنتظار، احكي لي يا أرجوك" وحياتي عندك "فرصة والأولاد في التمرين والبيت هاديء وجدتي نائمة.

تجلس مي تحكي لسارة حكايتها مع محمد والتي دامت لحوالي أربعة سنوات وتنظر لابنتها لتجدها غارقة في دموعها وتسألها :

- هل تعتقدي المكان كما هو؟
- أي مكان ؟
- مكان عهدكم عالبحر،هل ذهبت إليه في كل عام كما وعدت؟
- بالطبع لا يا بنتي فهو كما كنت أظن نكث عهده وأنا كنت زوجة لرجل غيره.

- ولكن بالطبع مررت على المكان ووجدته تغير كثيرا.

تغمض مي عينيها لتتذكر المكان القديم بكل ما فيه وتحكي لسارة كم تغير عام بعد عام ، فتارة يقومون بتغيير الكرسي، وتارة يضعون الحواجز الصخرية التي جعلت من الشاطيء منظرا كئيبا، وتارة يقومون بهدمه مؤقتا لتوسيع حركة الشارع والمرور.
سارة صارخة

- : اقترب الشتاء.
- وماذا في هذا؟
- هل تظني يا أمي لو ذهبت هذا الشتاء في نفس المكان والموعد قد تجدينه؟
- انت تعيشين برومانسية المراهقة يا سارة، هذا الكلام لا نجده سوى في الروايات والأفلام والأحلام.
- صدقيني يا أمي أغلب ما في كل هذا هو من الواقع.لنجرب ماذا سنخسر؟
- عندما يأتي الشتاء سنرى.

تذهب مي هذه المرة إلى موعد اللقاء مع ابنتها الشابة.تضحك سارة وتقول :ما هذا يا أمي، الأمطار لم تتوقف منذ الصباح، فهل كانت تمطر كل عام هكذا؟

- لا ليس كل عام يا حبيبتي.
- الله الله إذن كل عام كنت تتذكرين هذا اليوم يا أمي؟
- هناك ذكريات من الصعب أن تنسى يا ابنتي.
- أنا أتمنى أن يأتي، ترى سيأتي يا أمي؟
- حتى وإن لم يأت، هي ذكريات حلوة في القلب.

تجلس مي على طرف الكرسي تحتمي من المطر وتقف سارة وفي يدها مظلة ملونة بألوان الطيف تنظر يمينا ويسارا وتدرس المكان وتسأل أمها:

- تغير المكان كتيرا؟
- كلنا تغيرنا يا حبيبتي فلم لا تتغير الأماكن؟

ترى مي في وقفة سارة نفس وقفة نهال منذ سنوات وتستعيد الماضي وتتبلل عيناها بالدموع

- هناك رجل يعبر الطريق ناظرا إلينا يا أمي، قد تصدمه سيارة هكذا وهو يعبر الطريق مشغول بنا.
- سلام قولا من رب رحيم يا بنتي الأفلام أكلت عقلك، هو بالطبع ليس ..

تصمت مي رافعة عينيها إلى رجل تعرفه بقلبها، يا الله كم تغيرت ملامحه وصار رجلا وقورا بنظارة لم تكن موجوده من قبل ولكن عينيه كانت ولازالت تنظر بحياء رجل عرف الله.

- ما بك يا أمي؟ هل هذا دكتور محمد؟

يبتسم محمد مقتربا منهن محيي إياهن، ترد الاثنتان التحية وتقول له سارة :

- أهلا يا دكتور.. تفضل بالجلوس ولا تقلق هو كرسي ملكا للحكومة والشعب.

توبخها أمها بصمت ويبتسم محمد وينظر إلى مي قائلا :

- كما تركتك سيدتي لازالت الدموع تبلل عينيك ولكن معك هذه المشاغبة ..هي توأمك قلبا وقالبا، والدتك كانت مشاغبة زيك كده زمان يا فتاتي.
- حقا يا دكتور؟"على فكرة تيتا قالتلي لو حضرتك جيت النهارده ياريت تتفضل عندنا في البيت علشان مش معقول حنقعد نتكلم في الشارع كده"

هتفت مي مصدومة :

- سارة!!!
- إن شاء الله يا ابنتي، ألا تريدين أن أذهب معكما يا مي؟
- لا أبدا أهلا وسهلا بك.
- هل لديكم سيارة؟ أنا معي سيارتي والسائق في الجوار.
- لا لا معي سيارتي فهل تحب اللحاق بنا من أجل العنوان؟
- هل لا زلتي تسكنين في شارع السلطان حسبن؟

تصفر سارة وتقول :

- صحيح يا دكتور محمد ، هيا بنا، لدي أسئلة كتيرة لك أسالها وأريد أن اعرف كل ما مررت به منذ زرت خال أمي و...

مي مقاطعة :

- عذرا يا دكتور محمد هي فضولية جدا.

يضحك محمد ويقول :

- ربنا يحفظها .أراكم هناك إن شاء الله.

وعند بيت الجدة تتوقف مي بسيارتها وتستحلف سارة بالله أن تصمت وألا تحرج الرجل فيكفيه احراجا أنه سمعها وهي تتحدث عن زيارته لخالها وهي تعلم مدى الحرج الذي شعر به في هذا المنزل وأنه قد يكون متزوجا.
سارة : لا يا ماما تزوج وطلق زوجته كانت أسلمت و....

- وكيف عرفت؟؟
- سأقول لك ولا تغضبي؟ جدتي سألت عنه أحدهم تعرفه في أحد الجهات الأمنية.
- لا أدري ماذا أقول لك أنت وأمي.
- يا أمي لم نقل لك شيء إذ كان لابد وأن نعرف أنه ليس بمتزوج وحينها أقنعتك بالذهاب للمكان ، لاتغضبي أرجوك كنا نخاف عليك وهو .....

مي :لا أريد سماع المزيد ولا أريد منك الحديث ولو بكلمة أو تعليق فيهم احراج لي أو له، هل كلامي واضح؟ ضعي في حسبانك أنه قد يزورنا كضيف بحكم العشرة ولا أكثر، سمعت يا سارة؟

- نعم يا أمي..
- سامحكم الله أنت وجدتك.

تخرج مي وسارة من السيارة لتجدا محمدا أمامهما فيطالبهن بالصعود في المصعد على أن يلحق هو بهما.

- ما شاء الله يا ماما هذا يعني التزامه وتهذيبه، كثيرا نجد شبابا ورجالا غير مهتمين بهذا الشيء وأيضا لا يدعونا ندخل إلى المصعد بدونهم.
- هو ملتزم منذ صغره يا سارة ما شاء الله والغربة لم تغيره.

تدخل مي كي تعلم والدتها بوصولهم، وتدخل سارة مهللة فرحة بقدوم دكتور محمد ومتفائلة خيرا، ويدخل محمد ليجد طفلين في عمر طفليه تقريبا ولكنهما توأم متشابهين، وكان يجلس معهما شيخ عجوز وما أن دخلوا الغرفة حتى غمز أحدهم بعينه لأخته ولكنها حذرته، ودخلوا إلى غرفة الصالون بعدما ألقوا التحية على الجميع<

- شقاوة أطفال يا دكتور عذرا.
- أعلم هذا يا سارة اولادي أصغر منهم قليلا ولكنهم ليسوا بتوأم.
- حضرتك عندك أولاد؟
- نعم علي وعمر.
- هم معك هنا أم في أمريكا؟

يضحك محمد بصوت عال ويقول:

- معي هنا عند والدتي.
- ووالدتهم ؟

تدخل مي الغرفة مقاطعة الحديث لتجد ابنتها يعلو الاحمرار خديها فتعلم أنها تورطت في حوار مخجل مع محمد فتحسم الموقف قائلة:

- اخوتك انتهوا من القرآن هيا فالشيخ بانتظارك وإياك وأن أسمع منه أنك دون المستوى.
- ولكنني أحفظ مع المحفظة في المسجد.
- وهذا شيخك الذي يحفظك القرآن منذ صغرك ويريد أن يطمأن عليك .
- حاضر

تدخل امرأة ويعلم محمد من أين ورثت مي وسارة هذا الجمال الملكي الأرستقراطي، كانت تبدو في عمر قريب من مي لولا بعض خطوط الزمن التي خطت وجهها، تتوكأ على عصا.، يقف محمد لتحية" تيته "كما تدعوها سارة ويتقدم ليساعدها.

- شكرا يا بني.

-العفو يا هانم ، ازاي صحتك؟؟

-الحمد لله في نعمة ولكن السن وحكمه أصبحت عجوز وعظامي تتخوني أحيانا، ما هو

تخصصك يا ولدي؟

يبتسم محمد ويقول :

- أنا دكتور جراحة قلب يا هانم.

-إيه هانم دي؟ أنا اسمي سعاد بس أنا في مقام والدتك كيف حالها هي والوالد واختك نهال؟

-الوالد توفاه الله يا سعاد هانم منذ عام والوالدة بخير والحمد لله ونهال تعيش في الخليج كما تعلمين، ولكنها ستأتي إلى مصر قريبا لتستقر حينما يبدأ أولادها في الدراسة الجامعية .

-الله يرحم موتانا ويرحمنا أجمعين.هم السابقون.

-ربي يعطيك العمر المديد.

-ومتى عدت أمريكا يا محمد؟

-منذ عامان تقريبا يا هانم .

-وبتشتغل فين دلوقتي؟

-لدي عيادتي الخاصة وأعمل في الجامعة كأستاذ زائر وكذلك في مركز القلب.

- ما شاء الله ما شاء الله والأولاد؟؟

ينظر محمد إليها ويعلم أنها امرأة تعلم عنه الكثير، ثم ينظر إلى مي ليجدها مبهوتة وخجلى من تصرفات أمها التي تحقق معه، فعلم أنه لابد وأن يتحدث إليها من خلال أمها

فأجاب قائلا

- :حضرتك أظن علمتي أنني اتجوزت أمريكية أسلمت وأنجبنا ولدين ولكن مع الأسف بعد سنوات عادت إلى شرب الخمر والحياة الأمريكية البعيدة عن الدين وكانت النتيجة أنني خيرتها بين الرجوع للحق أو الطلاق ومع الأسف اختارت طريق غير طريقي، وكان همها نفقة شهرية لتتنازل عن الأولاد ، وتم الطلاق وعدت إلى مصر بأولادي والحمد لله وياترى هل يعيش أولادك حياة مرهقة بعدما عاشوا طويلا خارج مصر؟

- في البداية ولكن والدي رحمه الله ووالدتي احتضنوهم خاصة إنهم حرموا من أولاد نهال طويلا ، والحمد لله استقروا وأنا أساسا كنت معهم منذ مولدهم أتحدث معهم بالعربية وأعلمهم إياها أواحفظهم القرآن.
- وهل تراهم أمهم؟
- مع الأسف لا يا هانم، أمهم بعد الطلاق رجعت للحياة اللي كانت تعيشها قبلا كما وأنها أصبحت لا تفيق من الخمر، حاولت معها كثيرا حتى أني سافرت طالبتها بالعودة إلي وإلى أولادنا وأن تلجأ للعلاج ولكنها رفضت.
- سبحانه مغير القلوب.
- نسأل الله الثبات.
- آمين ؟
- سأذهب قليلا لأرى هل انتهت الطباخة من إعداد الطعام، أنت بالطبع ستشاطرنا وجبة الغذاء .
- ولكن يا هانم.
- لا يوجد ولكن، وفي المرة المقبلة ستشاطرنا وجبة أخرى مع أولادك لنتعارف جميعا.
- هذا شيء يسعدنا.

تشير مي برأسها إلى أمها بشيء يفهمه محمد جيدا ويسعد به.
سعاد هانم : تعالى يا ابني اجلسوا في الصالة حتى تتعرف على الأولاد.

يخرج الجميع إلى الصالة وتغمز الجدة بعينيها إلى سارة التي تبتسم إبتسامة شبيهة بابتسامة والدتها، ابتسامة لم ينسها محمد أبدا طوال هذه السنوات، ويبتسم هو الآخر شاكرا ربه على هذه النعمة وهذا التدبير الذي جمعه بمي مرة أخرى ويسأله أن يجمعه بها في بيت واحد مع أبنائهم قريبا.

نوفمبر 2009 ,

منـــال والـــلص

يا الله يا الله استيقظت منال وهي فزعة تنتحب وتناجي ربها قائلة يا الله حاولت أن تردد الكلمة بلسانها ولكن أبى لسانها ترديد الكلمة وعلمت أنها ستبدأ يوم جديد بدون أن تنطق، إذ أنها فقدت القدرة على التحدث إثر صدمة عصبية، أخذت تتذكر الحلم الذي ينتابها منذ الحادث، إنها تقف أمام نافذه غريبة الشكل، تطل منها لتجد سلما شاهق الارتفاع وفي أعلى السلم من بعيد تجد زوجها وأبناءها في حديقة جميلة، تحاول الخروج بصعوبة من النافذة ثم تبدأ بالصعود على السلم لتجد أن السلالم عظيمة الارتفاع وكثيرة الدرجات، وكلما تسلقت درجة وجدت أن أمامها الكثير الكثير من الدرجات فترفع يديها إلى السماء مناجية : يا الله يا الله..

تنير منال المصباح بجوارها لتقع عيناها على آخر صورة التقطتها لزوجها وولديها الإثنين ترد إليهم الابتسامة وتسألهم في سرها، ترى هل لهذا الحلم دلالة أنكم في روضة من رياض الجنة ؟....هل قبوركم حقا الآن روضة من رياض الجنة ؟ تدعو الله في سرها أن يكون الأمر هكذا وأن تلتقيهم هناك في الجنة إن شاء الله .. يأتيها وسواس يسألها : لماذا حدث لك كل هذا انت دون الناس وانت المؤمنة المصلية ؟ تستعذ بالله من الشيطان الرجيم وتتوجه إلى الحمام لتتوضأ وتصلي وتقرأ القرآن حتى موعد الفجر وقلبها يذكر الله ويحمده على كل حال، وبعد الانتهاء من صلاة الفجر جلست إلى جوار النافذة تتطلع إلى السماء ونور الصباح يبزغ على استحياء ليشق ظلمة ليل طويل، تتذكر زوجها وأبناءها ثانية ، زوجها الحبيب طبيب الأطفال وولديها: محمود في عامه الأول في كلية الطب ومصطفى في السنة النهائية من الثانوية العامة، وتتذكر يوم كانت مريضة بدور برد قاس وزوجها يهاتفها أن ابن عمته توفاه الله وعليه أن يذهب هو والولدان إلى الجنازة والعزاء في بلدة أهله بالشرقية، تنادي على ولديها محمود ومصطفى وتطلب منهم الاستعداد للسفر مع والدهم ، يطلب منها الإبن الكبير أن ينتظر معها لأنها مريضه فترفض وتحدثه عن فضل حضور صلاة الجنازة والدفن وواجب العزاء ، تمر ساعة و يأتي زوجها الحبيب ليطمئن عليها ،يرتدي ثيابه استعدادا للسفر ، تقوم بمشقة كي تعد لهم وجبة خفيفة يأكلونها قبل السفر ويودعونها محتضنيين إياها وهي تبعدهم خوفا أن يلتقطوا عدوى البرد فيضحكون. ويقول لها مصطفى :

- لا أدري يا أماه كيف تصاب امرأة رياضية مثلك بدور برد؟

تبتسم وتقول:

- لأنني رياضية كان ولابد أن يهجم علي بقوة

... يضحكوا ويودعونها بعد وعدها لهم أن ترتاح حتى عودتهم في المساء

..لم تكن تعلم أنها لن تراهم ثانية ، لم تكن تعلم أنهم ذاهبون إلى الشرقية ليس فقط من أجل العزاء، ولكن من أجل موتهم أيضا، تستعيد ذكريات أخرى لمحادثات تتم بينها وبينهم أثناء رحلة الذهاب حينما توقفوا لشرب القهوة في إحدى الكافيتيريات التي على الطرق، كانت تكره أن تتحدث إلى زوجها وهو يقود السيارة وكانت دوما تستحلفه أن لا يرد على الموبايل وهو يقود خاصة إذا ما كان مسافرا، ثم تحدثت إليه ثانية وهو في العزاء وتحدثت مع عمته معتذرة عن عدم حضورها بسبب المرض، ثم تحدثت إليهم مرة أخيرة وهم يستعدون للعودة إلى الإسكندرية، كانوا قد انتهوا من العزاء، واعتذر سامح زوجها عن المبيت مع العائلة لضرورة العودة لزوجته المريضة واعدا إياهم أن يعودوا جميعا في نهاية الأسبوع، ترى هل كان يشعر أنهم سيعودون جميعا ومعهم منال إلى القرية ولكن في عربات إسعاف لتقوم بدفنهم؟

حينما تحدث إليها زوجها كان صوته حزينا على ابن عمته صديق طفولته وعمره وكان أكثر حزنا أنه مات فجأة ولم يستطع أن يراه أو يودعه، تحدثت معه منال بهدوء وأخذت تذكره بالذكريات الجميلة وتطلب منه أن يدعو له و أن يذكر الله ولا يحزن فكلنا إلى زوال وموت .. وبعد ساعات من المكالمة لم يصلوا..ولكن وصلتها مكالمة تعلمها بأنهم أصيبوا في حادث وتم نقلهم إلى المستشفى الميري، حادثت أخاها فمر عليها مسرعا وذهبا إلى هناك حيث فاجأتها صدمة موتهم الثلاثة بعد الحادث بدقائق، إذ انحرفت قاطرة عربة نقل كان يقودها سائق مخمور بسرعة غير عادية، انفجر إطارها ففقد القدرة على السيطرة عليها وانقلبت على سيارة زوجها وولداها..

يا الله يا الله كم كان هذا الخبر قاتلا كم كانت تود أن تصرخ ولكنها لجأت إلى أخيها ووضعت رأسها على كتفه باكية بصمت ..وفي صلاة الجنازة تحدث الشيخ الإمام لدقيقة عن زوجها وكم كان رجلا خلوقا على دين وكم كان عطاء يجزل العطاء لأهل بلدته المحتاجين ثم يسأل الله لأهله الصبر والسلوان مذكرا منال بالحديث القدسي.

يقول الله تبارك وتعالى لملائكته : أقبضتم ولد عبدي؟ فيقولون : نعم.فيقول : أقبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون : نعم . فيقول :ماذا قال عبدي؟ فيقولون:حمدك واسترجع،فيقول الله تعالى:ابنوا لعبدي بيتا أسموه بيت الحمد .

تلجأ منال لحضن زوجة أخيها حبيبتها وصديقتها تبكي وهي تسترجع وتحمد الله على ما أصابها وتسأله الصبر وأن يربط على قلبها..

تسمع منال آذان الإقامة فتعود إلى نفسها تسبح الله و تدعوه وتسأله الجنة هي وأبناءها وزوجها وكل البشر وأن يصلح حالها ثم تقوم ببعض التمارين التي كانت تمارسها في الصباح يوميا مع الأبناء بعد عودتهم من صلاة الفجر في المسجد..كانت تحب هذا الوقت من اليوم وكان أبناؤها يقومون بعمل التمارين ويتدربون على الكاتا الخاصة بالكاراتية وكانوا يعلمونها بعض هذه الأوضاع وتضحك قائلة:

- ولماذا تمارين دفاع عن النفس ومعي ثلاثة رجال؟

فيقول لها ابنها الأكبر:

- لابد من هذا يا أمي، نحن نخاف عليك.

فتتعلمها وهي تضحك ويمر زوجها ليراهم يتدربون فيضحك قائلا:

- ماما ستكون الأقوى وتحصل على الحزام الأسود يا شباب.

فتهدده منال بحركات كاراتيه ضاحكة فيبتسم مداعبا إياها

- أهذا كارتيه أم كارتون توم وجيري ؟

فيضحك الجميع...

يا الله متى سأتوقف عن مزج الذكريات بواقع حياتي؟؟ تفتح منال اللابتوب الخاص بها كي تتحدث مع أخيها فهذه هي الطريقة الوحيدة التي تستطيع أن تتحدث بها إلى الناس : الكمبيوتر أو الورقة والقلم، تحدثت معه وتشاوروا في أمر السفر إلى العمرة بعد أيام قليلة هي وأخوها وزوجته وأبناؤه الثلاثة، ولدان في عمر يقارب أعمار ولديها وطفلة بدأت تنضم إلى زمرة المراهقات، أمرها أخوها ضاحكا أن تأتي إليهم في المساء لتتعشى معهم ويتناقشوا في أمر العمرة والاستعدادات، ولكي تتفق مع زوجته على الذهاب لشراء

المستلزمات لهم جميعا، توافق منال قائلة أنها ستذهب لمقابلة معلمة الصم والبكم كي تتفق معها على البدء في الدروس بعد العودة من العمرة مباشرة فيرد أخوها قائلا :

- إن شاء الله ستعودي من العمرة وانت تتحدثين ولن نستطيع إسكاتك ..

تبتسم منال في هدوء وتنهي الحديث مع أخيها وتقوم للاستعداد ليوم جديد.

تجلس منال في انتظار المعلمة المركز الخاص بالصم والبكم وترى شابات وفتيات صغيرات يتحدثن بالإشارات وتتذكر كيف كانت في بعض الأحيان ترى برنامج على القناة الخامسة يدعى" حديث الأصابع "وكيف كانت المذيعة ماهرة بتحويل كل المواضيع إلى لغة الإشارات كي يفهمها كل من هو مصاب بالصم والبكم وتذكرت حينما كانت تذهب مع أبناءها إلى محلات كنتاكي حيث كان كل العاملين بها من الصم والبكم وكيف كان بعض الموظفين يحاولون تعليمها هي والأبناء كيف تقول بعض الكلمات بلغة الإشارة فتسبح الله..

وهي اليوم تتعجب أن تظل طوال سنين حياتها تتحدث وتتكلم باستفاضة وبصورة لبقة أحيانا ومرحة أحيانا أخرى والآن مضى عليها عامان منذ حادث عائلتها وهي لا تستطيع التحدث وتتذكر كيف صمتت عن الكلام أثناء العزاء يوم دفن أسرتها، حيث جلست في العزاء وسط النساء والسيدات من الأهل والأقارب والمعزيين وفجأة يستأذن أصدقاء أولادها في الدخول عليها لتعزيتها وحينما تراهم تبتسم لهم فيجلسون إلى جوارها على الأرض يبكون ويتحدثون عن صدمتهم في فقد أصحابهم فجأة وهم كانوا معهم حتى يومين مضوا فتبكي بصمت وهي تنظر إليهم ولا تستطيع أن تنطق بكلمة وكلما حاولت أن تقول كلمة ما لتواسيهم أو لتشكرهم لا تستطيع فتصمت وهي تنظر إليهم بعين دامعة .. وبعد ذهابهم تنظر إلى زوجة أخيها وتطالبها بصمت أن تأتي بأخيها فتحاول أن تتكلم معه فلا تستطيع، فتبكي وتصرخ زوجة أخيها حينما تستوعب ما حدث .. وها هي ذات بعد ما يقرب من عام ونصف على الحادث لازالت خرساء، لازالت كما قال الطبيب في حالة صدمة ترفض التحدث، نعم أصبحت تحب الصمت و تحب أن تستمع للناس فهذه حكمة اكتسبتها.. حقا إن الصمت وحسن الانصات للناس يجعل المرء أكثر حكمة ولكنها تتوق أن تقرأ القرآن وترتله كما كانت تفعل عند الفجر وعند كل صلاة.ولكن الله فعال لما يريد ومن يدريها ؟؟.تعود منال إلى الواقع لترى السكرتيرة تبتسم لها مشيرة بأن مديرة المركز تنتظرها.

تقف منال أسفل بيت أخيها وتنزل من سيارتها الحبيبة ملوحة لأبناء اخيها الواقفين في الشرفة و تفتح الباب الخلفي لتجلب بعض الأشياء اشترتها لابنة أخيها، وتلمح شابا ضئيل الجسد يقف إلى جوارها وبيده مطواة يضعها في جنبها ويأمرها بصوت مهزوز أن تعطيه حافظة نقودها في هدوء.

في لحظات تنحني منال وهي تتذكر تدريباتها مع الأبناء ثم تقوم بضرب المطواة من يد الشاب وإيقاعه أرضا ليسقط على رصيف الشارع على رأسه فيصاب بإغماءة، تمسك منال بالمطواة وتخبئها في حقيبتها وتنحني لإنقاذ الشاب ويلتف الناس حولها، لتجد أبناء أخيها، حسن وحسين، إلى جوارها في لحظة بعدما شاهدوا ما حدث من أعلى، تطلب صارخة منهم أن يجلبوا الماء فيهرع صاحب الكشك المجاور للمنزل، عم علي، بجلب زجاجة مياة معدنية ويعود ليعطيها إليها متسائلا عما حدث؟ فتشير لأبناء أخيها أن الشاب وقع بجوارها وفقد وعيه ولا تعلم ماذا حدث له..ترش الماء بهدوء على وجهه وهي ترى فيه ملامح شاب في عمر محمود ومصطفى، يستفيق الفتى ذاهلا حينما يرى منال وهي تجلس إلى جواره على الأرض كي تنقذه ويحاول أن ينهض فتمدده على الأرض متحسسة رأسه و مقربة إليه زجاجة الماء كي يشرب، وجدت كدمة صغيرة برأسه ولكن لا دماء ولا أثر لجرح واطمأنت لحالته وأخذت بيده مشيرة لأبناء أخيها أن يقود أحدهم السيارة وضعوه على الكنبة الخلفية وجلست إلى جواره وقاد السيارة حسين بينما جلس حسن وتوجه برأسه إليها قائلا :إحنا شفنا اللي حصل من البلكونه، نروح على قسم البوليس؟ أشارت لهم منال برأسها أن لا يذهبوا، فقط يقودوا السيارة.

قاد حسين السيارة متجولا في شوارع الإسكندرية وهو متحفز لأي حركة يقوم بها الشاب الذي لازال تحت تأثير الصدمة والسقطة التي سقطها، تنظر إليه منال وتمسك بالقلم والورقة وتكتب، أنا لا أستطيع التحدث إذ أصابتني صدمة أفقدتني القدرة على النطق وأنت كما أظن تستطيع القراءة والكتابة ولست بالجاهل.بإمكانك إذا أردت أن تكتب ردك حتى يكون الحوار بيني وبينك ،.ما اسمك؟

رد الشاب :

- إسمي عمر.
- إسم جميل ، هل تعلم كنت أود لو اسميت ابني الصغير رحمه الله عمر، فأنا كنت أحب كثيرا عمر بن عبد العزيز، خامس الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم جميعا.

- إبن حضرتك مات؟ الله يرحمه
- أبنائي الاثنين هم وأبيهم توفاهم الله في حادث سيارة منذ عام ونصف.

يصمت عمر وينظر إليها أسفا وترى دموعا حائرة في عينيه تود لو تنهمر.

- هل تدرس يا عمر أم تعمل؟
- أنا في كلية التجارة في العام الثالث وأعمل في" انترنت كافيه "مساء
- ما شاء الله إذن انت شاب مجتهد تدرس وتعمل؟

يضحك عمر بسخرية قائلا :

- أنا في العام الثالث منذ ثلاث سنوات وهذا العام أخر فرصة لي، سأطرد من الجامعة إذا ما رسبت.
- ولماذا ترسب يا عمر؟
- حضرتك تعرفي كلية التجارة؟ اللي بيدخلها تلاقيه ينجح في المواد الصعبة اللي ماذاكرش فيها ومكتبش فيها يمكن إسمه ويسقط في المواد اللي بيحبها وجاوب فيها كل الأسئلة وافتكر نفسه حيجيب امتياز.
- ما هي وظيفة والدك؟
- والدي توفي منذ خمس سنوات وأنا في عامي الدراسي الأول في الجامعة، كان يعمل في السكة الحديد ،حتة موظف غلبان بياخد قرشين كل شهر يستروه هو ومراته وعياله ."
- والدتك موجودة ؟ وهل لديك أخوة؟
- نعم والدتي على قيد الحياة ولدي ثلاث اخوات بنات أصغر مني سنا..
- ما شاء الله ولم تخف وأنت تسلط مطواتك على واحدة في عمر أمك ان تعرف أمك فعلتك هذه ؟ أو ألا تخاف أن تسلطها في يوم ما على زميلة لك في الجامعة أو زميل؟
- هذه السيارة ملكا لك؟
- نعم. .
- إذن لا جدوى من الكلام، فأنت لم تشعري بالفقر في يوم من الأيام.لم تشعري كيف تعودين إلى منزلك ولا يوجد في جيبك سوى بضعة جنيهات واخواتك في حاجة

لطلبات مدارس وجامعة وطعام وشراب وجهاز للعروس وعلاج لأمك،لا تشعرين بقهر أن تصيري يتيمة وعلى كاهلك مسؤوليات أم وأخوة..

- انت تحكم علي من خلال سيارتي؟
- سيارتك يتجاوز سعرها مائة ألف من الجنيهات، إذن انت تعيشين في نعم ولم تشعري بالفقر أو الفقراء .
- خذ سيارتي وكل مالي يا عمر ولكن بشرط واحد أعد لي زوجي وأبنائي .

يصمت عمر ولا يرد.

- لم الصمت؟ لدي عدة أسئلة لك؟ عندما تعود إلى منزلك ألا تجد اخواتك يلتفون حولك وترفع امك يديها للسماء تدعو الله لك على الرزق الذي جلبته معك؟ كيف تدنس رزقك يا عمر؟ كيف تطعم أمك وأخواتك مال حرام؟ والناس التي تسرقها؟ هل تعرف كيف حصلوا على مالهم هذا؟ قد يكون مال علاج، أو مال يحتاجونه ووو..

يصرخ عمر

- أنا لم أسرق من قبل أو استخدم هذا السلاح، كنت الأولى، انا تعبت، تعبت من نظرة أختي العروس التي تريد استكمال مستلزمات زيجتها كي تكون مرفوعة الرأس أمام أهل زوجها، تعبت من نظرات أمي وهي تمسك الورقة والقلم تكتب مصاريف لا تنتهي، مصاريف أكثر كثيرا من معاش رجل أفنى عمره في القطارات كمحصل تذاكر، تعبت من كل هذا وأكثر، ومن أجل هذا قررت ما فعلته معك؟
- غلبك شيطانك ؟ زين لك سرقة الناس؟ ماذا قال لك يا عمر؟ هل تصلي؟

ينظر إليها خجلا ويقول :

- كنت أصلي دوما وفي المسجد وادعو الله ولكن..
- صمتا يا بني، فليس هكذا نتعامل مع الله تعالى، أين إيامنك بالله؟ أين انت مما حدث لنبيك من أهوال منذ صغره؟ حينما خيره الله بين المال والجاه وبين إن يكون عبدا فقيرا فاختار ان يكون عبدا فقيرا.قل لي ماذا سيحدث إن ذهبت بك الآن لقسم البوليس ومعي مطواة عليها بصماتك، ستحبس بالطبع، ماذا سيحدث لأمك حينما

تعلم؟ وماذا ستقول عنك؟ يطعمنا الحرام؟ وماذا سيحدث للعروس اختك واخواتك؟ كيف سيرفعن رؤوسهن في منطقة سكنكم؟ عريس أختك ماذا سيفعل؟ وقبل كل هذا أين أنت من الله ؟ كيف ستتسامح مع نفسك ؟هل تعتقد أنك ستستطيع تكرار هذه الفعلة مع سواي؟ وماذا لو كنت قاومتك ورفضت اعطاؤك محفظتي؟ هل كنت ستؤذيني فتصير لص قاتل؟

- ماذا تريدين مني؟ إنت لن تصلحي الكون بكلامك هذا.
- لم لا يا عمر؟ أمرنا الله أن نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر، وأمرنا نبيه أن نغير المنكر بأيدينا وبألسنتنا وبقلوبنا وذلك أضعف الإيمان؟ انت لا تحتاج إلى معجزة كي تقاوم ما فعلته اليوم.إنت تحتاج إيمان بالله. وأكيد والدك رحمه الله زرعه في قلبك. وعلمك الصح من الغلط وعلمك ان ترضى ولو بالقليل لأن هذا ما قسمه الله لك ..هل كلامي صحيح يا عمر؟ ماذا سيقول عنك ان رأك ممسكا بمطواه تهددني بها؟

تنسال دموع عمر على خديه فتنتظر منال لدقائق ثم تعاود الكتابة:

- ألم تفكر مرة يا عمر في كلمة الرضا؟ ؟أنا رضيت بما حدث لي، كان أولادي في مثل عمرك وزوجي سكني وحياتي ،كانت حياتي كلها تدور حولهم ،كنت أعيش واتنفس بهم، ولكن أين أنا من الله يا بني؟ ربنا قسم لي هذا لو كنت يئست من رحمته ماذا كان سيحدث؟ لو كنت صرخت وقلت :لماذا يا رب ماذا كان سيحدث؟ كان ربنا سيطردني من رحمته تماما.صح يا عمر؟ زوجي وأولادي الله يرحمهم ماتوا وأنا فخورة بهم. وإنت أبوك رحمه الله مات ورأسه مرفوعة بك واثقا انه ترك رجل من خلفه..واليوم هل تعتقد هو فخور بك؟

يطأطأ عمر رأسه صامتا..وتنظر إليه منال وتكتب كلمات قليلة إلى أبناء أخيها تطلب منهم الذهاب إلى أقرب مسجد حيث اقترب وقت صلاة العشاء .وتكتب منال ثانية إلى عمر:

- سأعقد معك اتفاقا.

عمر يهز رأسه صامتا فتكتب منال

- : العشاء سيؤذن حالا. ادخل المسجد معانا توضىء واخلص النية لله وصل العشاء في جماعة ثم السنة ،إن شعرت انك عرفت الله وان ما حدث اليوم بيننا كان رسالة

لك من ربك تسألك العودة له، سأراك عند السيارة عند خروجي، وإن لم تشعر بكل هذا وربح الشيطان شابا جديدا فلتختف من أمامي وسأمسح بصماتك عن المطواة وألقي بها في البحر.

ينظر إليها عمر ويشير برأسه علامة موافقته.

تقف السيارة عند الجامع وينزل الجميع إلى المسجد وتدخل منال إلى منطقة النساء وهي تتوسل الله أن يهدي هذا الشاب وتعده أن تتكفل بأسرته جميعها حتى يتخرج عمر ويعمل ويتزوج وتتزوج البنات..فما لديها من مال ورثته عن زوجها ووالديها يكفيها ويفيض..يؤذن المؤذن فتتفائل منال خيرا وتصلي وبعد انقضاء الصلاة والسنة تنتظر منال قليلا في المسجد حتى لا تخرج في نفس وقت خروج الرجال فتزاحمهم.. ثم تخرج منال من الباب الجانبي وتلتفت إلى السيارة لتجده هناك يقف إلى جوار أبناء أخيها فتشكر الله وتحمده وتلتفت لتأخذ حذاءها فلا تجده، تبحث حولها فلا تجده، لقد تركته عند الباب فمن يا ترى أخذه؟ تشير إلى حسين فيأتي إليها ثلاثتهم فتشير إلى قدميها وهي تضحك، فيضحك الثلاثة معها وتعود إلى السيارة بجواربها.

في السيارة تنظر منال إلى عمر وهي مبتسمة لتجده مبتسما وهو يبكي تقريبا ..تسأله إلى أين يريد أن يقلوه بالسيارة؟

- "أنا ساكن في مكان مبتدخلش فيه عربية زي دي.. "
- إذن نقلك لأقرب مكان لبيتك؟ على فكرة أنا أحب أن أتعرف على والدتك وأخواتك البنات في أقرب فرصة ..أنا أعرف رجل أعمال كبير يحب الخير ويحب أن يكفل أيتام ومن الممكن أن يكفل أخواتك البنات حتى زواجهن هذا ليس بعيب يا عمر، هو كافل يتيم مع رسول الله في الجنة.وعلى فكرة حسين وحسن يعملوا مع والدهم في المستشفى الخاصة بتاعته.. هم أولاد أخي أود أن تتعرف عليهم ..

وتسألهم منال، عمر في كلية التجارة يا شباب ومن السهل أن يجد له والدكم عمل في الحسابات..يدرس في كلية الطب ويمارس الطب كتجربة على مرضى والده...يبتسم حسن ويضحك حسين قائلا :

- أما أنا فلم انضم للعبة الطب هذه فأنا أدرس في كلية الصيدلة مثل عمتي منال، ولكنني أعمل صيفا مع الوالد في المستشفى وأنا واثق أننا سنجد لك عملا معنا قريبا يا عمر إن شاء الله..

سألته منال :

- هل لي في رقم موبايلك وعنوانك ورقم هاتف المنزل كي آتي لزيارة الحاجة أم عمر؟ الحاجة؟

يكتب عمر البيانات وتعطيه منال رقم الموبايل الخاص بها وبحسين ويبدأ حسين وحسن وعمر حديثا وتصمت منال قليلا وهي تبتهل لله عز وجل شاكرة إياه نعمه وآلاءه ثم تتوقف السيارة عند موقف الميكروباص فتكتب منال لعمر قائلة:

- عمر هل تسمح أن أعطيك مبلغا صغيرا حتى أراك بعد يومين عندما أزوركم؟ سأحسمه من أول راتب لك.هذا وعد..
- أنا لا أعرف كيف أشكرك أو أرد لك هذا الجميل؟
- لا أريد منك شكر.. اشكر الله انني كنت سبب في طريقك يقربك من الله ويبعدك عن المعاصي.وأذكر الله يذكرك وقرب من ربي يفرج عنك كل كرباتك ويهديك للطريق المستقيم.
- ونعم بالله.أقول لحضرتك السلام عليكم فلا أريد تعطيلك أكثر من هذا.

منال ترد السلام وينزل عمر من السيارة مصافحا الشباب ثم ينظر إلى منال نظرة كلها شكر وامتنان وثقة بالله ويمضي.

في السيارة يتحدث الشباب عما حدث وهم غير مصدقين ويقومون بمداعبة منال ومشاكستها معلقين على تدريبات حماية النفس وكيف أفادتها..عند المنزل يتصل حسين بأمه يطلب منها أن تنزل أخته إيمان بحذاء من أحذيتها لأن حذاء عمته سرق، فتكتب له منال سريعا : أمك يا ابني مقاس قدميها 40 بما يناسب طولها الفارع..أنا مقاس قدماي 36 فكيف ارتديه؟

يضحك الجميع ويطلب حسين من والدته حذاء من أحذية إيمان ويقول لعمته :الحمد لله إيمان قزمة مثلك يا عمتي وإلا كنت ضعت في حذاءها هي الأخرى.

تنزل إيمان بالحذاء لترتديه منال ويخرج الجميع من السيارة وإذا بعم علي صاحب الكشك يقول" :إنتم فين يا جماعة أنا كنت عايز أروح من بدري النهارده بس اضطريت استناكم علشان حساب زجاجة المياة !!!"

ينظر الجميع إلى بعضهم البعض ويقوم حسين بإعطائه ثمن الزجاجة ويدخلون إلى مدخل العمارة ليتهالك الشباب ضحكا على هذا الجشع الذي يريد ثمن زجاجة ماء لا يتعدى ثمنها الجنيه في حين أنها كانت لإفاقة شاب متهالك على الأرض ومصاب ويقول حسين

- سيعيش جشع طوال عمره..

فتكتب لهم منال : أمثال هذا الرجل سبب رئيسي في جعل عمر يفعل ما فعله اليوم..

فردت إيمان:

- ماذا حدث؟ احكي لي يا عمتي، حسن وحسين قالوا سنهبط لعمتنا، وإذا بكم تمضون بالسيارة.
- إنها قصة طويلة اوعديني يا عمتي لا تحكي لها أي شيء فهي فضولية، دعيها لفضولها حتى يأتي أبي من المستشفى..تبتسم منال وتغمز إيمان، قرة عينها وحبيبتها..

مريم واليقين

مريم واليقين

-1-

تقف مريم على باب شقتها منتظرة بشوق ابن جارتها– الحبيب ابن الحبيبة – هشام وتسمع خطواته صاعدا على السلالم وقلبها ينبض شوقا لمعرفة نتيجة امتحاناته وتفتح مها الباب مبتسمة في وجه مريم ومنتظرة ابنها الذي يجري إليها معانقا إياها في شوق قائلا :

- نجحت يا ماما بتقدير جيد جدا.

تصرخ أمه سعيدة وتعانق مريم بيدها الثانية فرحة فيبتعد هشام عن حضن أمه ويقول بغضب :

- عن إذنك يا ماما..

تصيح مها فيه:

- ما بك يا هشام؟
- لا شيء فأنا كنت أقف في الشمس منذ الصباح الباكر وأشعر بإرهاق.
- خالتك مريم واقفة كي تبارك لك.

رد هشام بدون النظر إلى مريم:

- شكرا..عن إذنكم.

تنظر مها إلى مريم وهي غير مستوعبة ما يحدث وتقول :

- لا أدري ما سر غضبه من الجميع في الفترة الأخيرة، منذ يومين اختلف مع سما اخته لا يريدها أن تنزل وحدها، وقبل ذلك تشاجر مع أبيه لأنه لم ينزل لصلاة الجماعة معه، واليوم طالك الغضب، لا أدري ما به، تغير كثيرا منذ دخل الجامعة .
- لا عليك يا مها... هو يمر بفترة صعبة من عمره خاصة مع المجموعة التي انضم إليها ونسى أصدقاء المدرسة..ادي الله له.
- هل لأنه يحاول التقرب إلى الله ويصلي الفرض في جماعة ويطلق لحيته يعاملنا بهذا الأسلوب ؟لم يقل الله هذا أبدا.
- أنا المقصودة بغضبه.. أنا أشعر بذلك شهور وهو يقيم حدودا ولا يريد لي حتى الوقوف معك أو الدخول إلى منزلكم؟
- ولم هذا؟ أنتي مثل خالته وأمه الثانية.

- صدقيني يا مها ، هو محتار كيف يتعامل معي، حتى أحمد زوجي لم يعد يتحدث إليه مثلما كان يفعل دوما، كما لو كان يلومه أنه تزوج بي لأنني مسيحية، فلندعو الله له، هيا اذهبي إليه .
- اتفقنا أنك ستشاركينا وجبة الغذاء.
- لا أحمد هاتفني من الأتوبيس، هو قادم من رأس البر اليوم بدلا من الغد إن شاء الله.
- في حفظ الله، لا تحزني من هشام، سيعود والده بعد أسبوع –يعمل والد هشام مهندس للبترول في شركة بترول لمدة أسبوعين ويعود للبيت لمدة أسبوعين – سأتحدث معه كي يضع حد لهذا الفتى.
- هو في مرحلة سنية صعبة فتعاملوا معه برفق، أراك بخير يا حبيبتي.

تدخل مريم إلى شقتها وهي تحمل هموم الدنيا بعدما كان قلبها يغني طربا منذ دقائق، تدخل إلى المطبخ لتعد الطعام وتنتظر زوجها الحبيب وتتذكر كيف تعرفت عليه ؟ .. كان أحمد شابا صغيرا حينما ذهب إلى سوريا منتدبا لتدريس اللغة العربية بالجامعة، وكانت هي تخرجت حديثا من معهد للسكرتاريا، يتيمة مات أبواها في ضربة صهيونية غادرة فتهدم المنزل عليهم وهي في المدرسة تدرس، وعاشت في غرفة صغيرة في الدير، كانت محبوبة من جميع الراهبات وكانوا يعتقدن أنها ستنضم إليهن قريبا، إلا أن إحدى المعلمات طلبت منها أن تساعد الأستاذ أحمد في طباعة رسالة الدكتوراه الخاصة به، ومن يومها لم تعد مريم كما عهدتها الراهبات، أصبحت تضحك وتبتسم وتميل إلى الحياة خارج الدير بعدما كانت حزينة قليلة الابتسام والضحك، وفجأة وبدون مقدمات تزوجت من أحمد وانتقلت إلى بيته وودعت الدير إلى غير رجعة، وفي بيتهما علم أحمد أن مريم كانت تحب الرسم وخاصة الرسوم الطبيعية فاتفق مع مدرسة متخصصة ان تأتي إليهم في المنزل لتعلمها و بالفعل أصبحت مريم رسامة عاشقة للطبيعة.

بعد عامين من العيش في سوريا، عاد أحمد وبصحبته مريم إلى الإسكندرية وسكن في بيت صغير يرى البحر، ومع مرور الوقت أصبحت مريم فنانة مشهورة في الإسكندرية، حيث أنشأ لها زوجها مرسما في غرفة من غرف البيت وطلبت منه أن يترك الجدران بيضاء خالية من أي زينة أو لون وكانت تنظر إلى الحوائط متخيلة جنات وحدائق سوريا أو الطبيعة الجميلة في الريف المصري والشواطئ .

حينما ذهب بها إلى رأس البر، كرهها أخوته وأخواته بدون سبب إلا أنها مسيحية، أما أخته الكبرى فكانت تحبها وتجلس معها لساعات يتحدثان ولكن بعيدا عن العائلة وبعيدا عن زوجها، وبعد بضع سنوات، أدرك الجميع أن الدكتور أحمد ومريم لا يستطيعون الإنجاب، زادت كراهيتهم لمريم، وخافوا أن ترث أحمد إذا ما مات، كانوا لا يعلمون أن أحمد لم يكن معلما طماعا يعيش على الدروس الخصوصية، كانوا يحسبونه يجمع المال ويكدسه بلا طفل ينفق عليه ولا عائلة مثلهم.

لم يضغط أحمد يوما عليها كي تعلن إسلامها وتترك المسيحية ولكنه كان دائم قراءة القرآن بصوت عال فكانت كلما قرأ سورة مريم تجلس منصتة له وفي عينيها تساؤل صامت لا تحكيه أبدا.وكانت كلما قرأ عن أن اليهود والنصارى قد كفروا، نبض قلبها بصوت عال متسائلة، كيف يتناقض القرآن هكذا؟ مرة يحكي عن المسيح والسيدة العذراء بصورة جميلة ومرة يتهمنا بالكفر؟ ترى أين الخطأ؟

مع مجيء مريم إلى الإسكندرية وشعورها بالوحدة وبدأها في شغل وقتها بالرسم، تعرفت على جارتها مها، زوجة شابة تكبرها قليلا ومتزوجة من مهندس بترول يغيب كثيرا في أسفاره، تصاحبت الجارتان وأصبحن يمضين أوقاتا سعيدة سويا، وكانت مريم تحب كثيرا أولاد مها وتعتبرهم أولاد أخت لها، ومرت أعوام قليلة والعائلتان شبه عائلة واحدة متصادقين متفاهمين وكأنهم أخوات.

-2-

دخل أحمد المنزل ليجد مريم تجلس على منضدة المطبخ حزينة، وحينما أخذها في حضنه محييا إياها، وجدها ترتجف وتبدأ في البكاء، فنظر إليها مبتسما وقال :

- هل أنت حزينة لأنني أتيت مبكرا؟
- لا أبدا، إنها دموع الفرح.

ينظر إليها أحمد قائلا:

- طيب عيني في عينك كده.

تضحك مريم و تجذبه خارج المطبخ فيقول لها :

- انتظري أنا جلبت معي" سمك وجمبري وكابوريا يستاهلوا بقك"وبالطبع جلبت أيضا لجيراننا الأعزاء.

تبتسم مريم لتغيظه قائلة :

- ألا يوجد سمك في اسكندرية ؟

يضحك أحمد قائلا :

- انت تعرفين، ربما هو حنين لرأس البر.

مريم :

- كيف حال الأهل؟

أحمد:

- بيدعو لك يجعل يومك قبل يومي.
- ناس طيبة ويحبونني يا سيدي، وكيف العروسة ؟واخواتها؟.. أشعر بالأسى عليهم منذ وفاة أمهم وقبلها أبوهم، كيف حالهم؟
- فلنرى ما جلبته من سمك ونأكل وبعدها نتحدث عن حالهم فأنا أريد مشاورتك في أمر ما.

بعد الغذاء تدخل مريم بالشاي بالنعناع إلى غرفة الجلوس وتجلس إلى جوار زوجها للتحدث فيقول لها

- تعلمين أنه من وفاة سميرة وأولادها في وضع صعب، وأختهم العروسة مضطربة لأنها ستنتقل وزوجها إلى الإسكندرية وتفكر جديا بجلبهم معها.
- هذا خطأ يا أحمد، هي عروس في أول عام زواج لها، وأخواتها بنتين توائم في سن مراهقة، هذا لا يصح..
- خذا ما قلته له وفكرت في أمر ما وأريد رأيك ثم أحادثها مرة ثانية.

- خير يا رب
- ما رأيك يا مريم أن تأتي الفتيات للعيش معنا؟ البنات الثلاث يحبونك الثلاثة كما لو كنت أخت لهن، وكن يحببن قضاء اسبوع المصيف لدينا، نحن نتقدم في العمر ونعيش وحدنا فإن أتوا يمتلئ المنزل بهجة، يعلم الله كم وددت لو ملأت لك المنزل أولادا ولكن قضاؤه أنني لا أنجب.
- ما هذا الكلام حبيبي؟ هذا الموضوع أغلقناه منذ زمن وأنا قلت لك يكفيني أنت من الحياة.

رد أحمد مازحا :

- أنا أم لوحاتك؟

تغيظه مريم بابتسامة وتقول

- في غيابك تملأ اللوحات فراغي، ولكنني كثيرا ما أنسى الرسم وأجلس اشتاق إليك.
- ما هذا الشعر والرومانسية... كان لابد وأن تكوني شاعرة وليس رسامة فقط يا مريمه.
- دعنا من حلو كلامك الآن يا رجل، سأنسى اسمي هكذا، انت تعلم كم كنت بحب أختك كما كانت تحبني ولكن زوجها رحمه الله كان دوما يسمم أفكارها ناحيتي.
- آه كان خايف علي الأرانب اللي عندي ألا تاكليهم بعدما أموت."
- هم ميعرفوش إني عملت عليهم ملوخية الأسبوع اللي فات"؟

يضحك أحمد ضحكة من قلبه ويقول" :

- لا أنا كنت سايبهم على عماهم. "
- حفظك الله لي وأطال في عمرك حتى تقوم بتزويج البنات وأولادهم أيضا.
- إذن أنت موافقة أن يأتوا للعيش معنا ؟
- بالطبع يا أحمد ،يكفي أنهم أولاد أختك وتربية والدتك رحمها الله.
- ألن تشعري بالضيق فهم في عمر حرج؟
- لا أبدا، سيكونوا كأخوات صغار لي.

- على خيرة الله.

تصمت مريم قليلا ثم تقول :

- أحمد هل لي في سؤال؟
- هاتي ما عندك، أشعر بانشغالك، خيرا؟
- حينما ستدخل الجنة، لن أكون زوجتك لأنني سأكون من أهل النار كما يقول القرآن؟

ينظر أحمد مبهوتا ويقول :

- هشام قال لك هذا؟؟؟؟؟؟؟؟
- هشام؟ لا، لماذا؟
- قبل سفري كان بيننا حديث طويل ويصمت أحمد
- وكان غاضبا منك إذ أنك متزوج من كافرة، أنا أدرك تفكيره وواثقة من أن هذا ما كان بينكما.
- أنا تحدثت معه بهدوء وحاولت اعلامه إنه يمشي في طريق خاطئ، وإن الله سبحانه وتعالى هو من يهدي ويحاسب البشر والمرء منا يعيش على طاعته ويترك ما لله لله، وإن الغلظة والكراهية ليسوا من الدين أبدا، ولكن هذا الشاب يحتاج لمن ينقي عقله من آثار غسيل المخ الذي حدث له.
- تعاملوا معه بهدوء.
- حادثت والده وقررنا أن نجلس إليه الأسبوع المقبل ، ولكن نصيحة مني: ابتعدي عن طريقه الأيام المقبلة، فإن ضايقك أو مس شعرة منه لن أتركه.
- حاضر ، والآن لنعد إلى المهم :ما رأيك نطلي غرفة الضيوف ونجعلها غرفة لرشا وهبة بنات أختك ؟
- بدأت التخطيط حتى قبل الرجوع إليهن؟
- قلبي يخبرني أنك صرحت لهن بهذا ضامنا موافقتي يا أحمد، سأتحدث مع علا بعد عودتي من صلاة المغرب إن شاء الله، وسأقول لك شيئا ما، أعلم أنك تدركين الرد على سؤالي، لسنوات مضت وبيننا حوارات ونقاشات ولكن أنا كنت مؤمن بأن أسلم حل معك هو أن تشاهديني كمسام وليس فقط تستمعين لي وصدقيني لو كنت قلت لك من يومها الرد على سؤالك كان ممكن أن تقولي أنا أقول هذا كي تصبحين

مسلمة وعندا سيكون إسلامك بالإسم، أو كنت ستبتعدين عني وكان هذا سيجرحنا سويا، فقلت خير الأمور الوسط وانت تدركين كما أدرك أنا فحوى دعائي لله.

تنظر مريم إلى زوجها بعين حائرة ولا ترد ويذهب هو لصلاة المغرب وحضور الدرس حتى صلاة العشاء.

-3-

تدخل مريم إلى المرسم الخاص بها وتضع ورقة على حامل الرسم وتمسك بقلمها الرصاص وترسم أشكالا ورموزا متداخلة ومتشابكة وترسم وترسم وحينما تشعر بالإرهاق، تقف بعيدا قليلا عن اللوحة لترى ما رسمته وما يضايقها منذ سنوات ولا تستطيع التعبير عنه بالكلمات، وإذا بها ترى كلمة الله في منتصف اللوحة وفي أحدى الجوانب رسمة صغيرة لمريم البتول وعيسى وفي جانب آخر صورة لعيسى مصلوبا على الصليب وإلى جواره الروح القدس .. تتمعن مريم في الصورة وتضع علامات للاستفهام كثيرا ترددت في قلبها وعقلها ؟؟؟ إذا كان عيسى نزل بعد موسى ليؤمن به اليهود فلماذا لم نؤمن نحن بمحمد؟ لماذا يقول المسلمون أن لهم ربا واحدا ونحن نقول أن لنا ثلاث؟ لماذا يقول الله : قد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة؟

لماذا ينفى الله عز وجل صلب عيسى ؟؟ لقد صلب من أجلنا جميعا؟؟ وتحمل ذنوبنا؟؟ يا الله كيف هذا؟ كيف يتحمل ذنوبنا؟ إذن لماذا خلقنا؟ كي نذنب و يتحمل ذنوبنا المسيح؟ لماذا أشعر بسكينة كلما استمعت إلى سورة مريم وكأن هذا الكلام مجدا وفخرا لها غير موجود لدينا؟؟؟

قطعت مريم اللوحة وذهبت إلى مها كي تعطيها السمك الذي جلبه أحمد من رأس البر فتداعبها مها أن السمك انقرضت في الإسكندرية، تضحكان سويا وتحكي مريم لمها عن بنات أخت أحمد وعما نوياه سويا فتسر مها وتحتضن مريم قائلة :

- هي مكافأة لك من الله يا مريم بعد حرمان سنوات..ألف حمد وشكر لك يا رب.. حقا سأسجد لله شكرا على نعمته هذه.. احكي لي كيف سترتبين المنزل؟ ومتى سيبدأ العمال ؟وما رأيك دعيهم يختارون بأنفسهم ألوان غرفتهم كي يكونوا مرتاحين، أم أنك س....
- مهلا يا جارتي، لننتظر موافقتهم.
- هم يحبوك وأنا أكيدة من موافقتهن ،فكم استمتعوا وأمهم في كل زيارة لك، وحقا أنا سعيدة ومتفائلة خير لهذه المنحة.
- مها أريد أن أسألك سؤالا وأجيبني بصراحة ؟ انت مؤمنة بأنني يوم القيامة سأدخل النار وانت الجنة؟
- أنا كلي أمل يا مريم أن أدخل الجنة وأعمل لها، متقلبة بين الخوف والرجاء ويقيني إن ربي الحنان المنان سيدخلني الجنة، أما انت فالعمر لا زال طويلا ولربما تتغير الكثير من الأشياء لأجدك معي في الجنة اخت لي كما في الدنيا، ومن أنا حتى أحكم بأهل الجنة وأهل النار؟.. أنا ادعو الله دوما بصحبتك هناك، انت أخت صغيرة لم تنجبها أمي ويشهد ربنا أحبك أكتر مما أحب أي صديقة لي، وأتمنى لك من كل قلبي أن ينير قلبك ويلهمك يقينا كبيرا.
- اليقين؟؟؟؟؟
- أعلم بحيرتك في الفترة الماضية جيدا، وكم نصحت هشام وسما أمامك حتى تصل لك المعلومة بصورة غير مباشرة، كما أن زوجك ليس بمقصر تجاهك، أكرمه الله، ولكن انت تحتاجين إلى اليقين فبدونه ستظلي متخبطة.
- لا أدري ولكن حقا أشياء كثيرة تحيرني، ولا أجد لها أجوبة.
- أنا لست بشيخ وربما لا أستطيع الرد على أسئلتك ولكن مؤكد دكتور أحمد يستطيع هذا فهو حافظ للقرآن وقريب من الله ،ولكن اسألي الله العون وأن يدلك على طريق اليقين.
- وكيف اسأله؟ وأنا كما تقولون لست بمسلمة، هل سيجيبني؟ ما انتم بتقولوا مش مسلمة؟ حيتقبل مني؟
- نعم سيجيبك فغايتك الطريق المستقيم والهداية والله حنان منان.
- ربنا يسهل.
- إن شاء الله... هيا اذهبي زوجك على وصول...غدا وجبة الغذاء من يدي.

تضحك مريم قائلة :

- ماذا أعمل مع جوزي الذي يحب أن ياكل السمك من يد إسكندرانية؟
- من أجل هذا يجلب لنا الأسماك في كل مرة يشتري سمكا؟ ولكن تذكري عمل الجمبري مهمتك فأنا أحبه بطريقتكم.

تضحك مريم ومها وتعود مريم إلى البيت لتنتظر أحمد.

-4-

تبحث مريم عن الإنجيل الذي أهدته لها الراهبة مادلين، وتقرأ فيه وتتوقف عند بعض السطور وأخذت تبكي وتبكي وهي في حيرة من أمرها، حتى أتي زوجها وحينما رأها علم أنها في أوج الحيرة وأخذ يدعو الله في سره وبدأ معها الحديث قائلا:

- مالك يا ستو أنا إيه اللي حصل"؟

تمسك مريم بيده قائلة :

- ادعو الله لي يا أحمد، أن يهديني لليقين والإيمان بالحق.
- ربي عالم يا مريم كم أدعو لك بكل هذا من غير أن تسألي وكم أتمنى أن يحقق لي رجائي.
- هل من الممكن أن تتحدث معي في بعض أشياء قرأتها في الإنجيل ولا استسيغها؟
- بالطبع يا قرة عيني، سأتوضأ وأجلب مصحفي.

يجلس أحمد مع مريم ويبدآن في نقاش طويل

- يقول الكتاب المقدس:

(أعبروا في المدينة وراءه واضربوه ، لا تشفق أعينكم ولا تعفوا ، الشيخ والشاب والعذراء والطفل والنساء ، اقتلوا للهلاك .. نجّسوا البيت واملأوا الدّور قتلى .. وأنا أيضاً لا تشفق عيني)

فيرد أحمد قائلا الرسول صلى الله عليه وسلم قال في حديثه الشريف لجنوده:

(انطلقوا بإسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله ، ولا تقتلوا شيخاً فانياً ولا طفلاً صغيراً ولا امرأة ولا تغلّوا وضموا غنائمكم ، وأصلحوا وأحسنوا إن الله يحب المحسنين)

ردت مريم:

(قال الله لبني إسرائيل : حين تمضون من أرض فرعون لا تمضوا فارغين ، بل تطلب كل امرأة من جارتها أمتعة .. فضة وذهب وثياباً ، وتضعونها على بنيكم وبناتكم فتسلبون المصريين)

رد أحمد : يقول الله تعالى في كتابه:

(إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي)

فانتقلت مريم لسفر أخر :

- لأنه هكذا أحب الله العالم حتى أعطى ابنه مولوده الوحيد، في الكتاب المقدس* : قال داود إني أعلن قرار الرب الذي قال لي أنت إبني ، أنا اليوم ولدتُك
- (قل هو الله أحد .. الله الصمد .. لم يلد ولم يولد .. ولم يكن له كفواً أحد)...ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله، إذن لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض، سبحان الله عما يصفون).. *(وقالوا اتخذ الرحمن ولداً ، لقد جئتم شيئاً إدّاً ، تكاد السموات يتفطّرن منه وتنشق الأرض وتخِرُّ الجبال هدّا، أن دعَوا للرحمن ولداً، وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً، إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبداً، لقد أحصاهم وعدّهم عدّاً، وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً)
- الآيات الأخيرة دي من سورة مريم صح؟؟؟

يبتسم أحمد قائلا :

- صح يا مريم
- مع الطاهر تكون طاهراً، ومع الملتوي تكون ملتوياً
- (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين أو الأقربين)

- (قلتَ يا رب لا أنقض عهدي، لكنك رفضت ورذلت، غضبتَ على مسيحك، نقضتَ عهد عبدك، نجستَ تاجه في التراب .. فرّحتَ جميع أعدائه، رددتَ حدّ سيفه ولم تنصره في القتال .. حتى متى يا رب تختبئ كل الاختباء)
- (وعدَ الله لا يُخلف الله وعده ولكنّ أكثر الناس لا يعلمون)
- (افتح عينيك يا رب وانظر)
- (إن الله يعلم غيب السماوات والارض ، والله خبير بما تعلمون)
- (لأنه في ستة أيام صنع الرب السماء والأرض وفي اليوم السابع استراح وتنفس)
- (ولقد خلقنا السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب)
- (وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا)
- (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)
- (إلى متى تنساني يا رب كل النسيان)
- (لا يضل ربي ولا ينسى)
- (فاستيقظ الرب كنائم كجبار معيط من الخمر)
- (الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم)
- (يا رب حتى متى أدعو وأنت لا تسمع؟)
- (إن ربي لسميع الدعاء)
- (هل إلى الدهور يرفض الرب ولا يعود للرضا بعد؟ هل انتهت إلى الأبد رحمته؟ هل نسي الله رأفة أو نقص برجزه مراحمه)
- (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، إن الله يغفر الذنوب جميعاً ، إنه هو الغفور الرحيم)

تنظر مريم والدموع في عينيها إلى أحمد وتقول

- : أنت لم تفتح المصحف؟
- أنا حافظ للقرآن يا مريمه وانت سبحان الله وقفتي عند كلمات في الإنجيل من المستحيل أن تكون كلام الله وشعرت إن فيها إساءة لرب العالمين وأنا أجبتك بكلام الله في القرآن، سأقول لك شيئا، سأعطيك موقعا أو اثنان أريدك أن تقرأي فيهم بهدوء وتري ما يكتبه الناس فيه ثم نكمل حوارنا هذا.
- متفقين.

تجلس مريم إلى الكمبيوتر وتفتح موقعا وتجلس لساعات طوال تقرأ وتقرأ وتدخل موقعا أخر عن مجالس العلم، وثالث يتحدث عن كيف أسلم هؤلاء..

تغمض مريم أعينها قليلا فينظر إليها أحمد قائلا:

- فلنكتفي اليوم بهذا القدر يا غاليتي، المواقع موجودة تجولي فيها وقتما تشائين، ولكن لنذهب الآن للنوم كي أستطيع الاستيقاظ كي أصلي التهجد إن شاء الله.

-5-

تستيقظ مريم لتوقظ أحمد لصلاة التهجد وحينما يبدأ بالصلاة، أخذت تنصت إليه وهو يتلو القرآن بصوت رخيم حتى إذا ما وصل إلى آية:

(إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ*فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ) (آل عمران20-19)

أخذت مريم تفكر بهدوء وصفاء نفس في هذه الآيات وتسأل الله أن يلهمها الصواب وركع زوجها وسجد لله ثم قام و إذا به يقرأ آيات تتحدث عن يسوع و كيف أنزل الله عليه وعلى الحواريين مائدة تكون لهم عيدا حتى إذا ما قرأ، (وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم ءأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب -ما قلت لهم إلاّ ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد - إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم) (المائدة118– 116)

أخذت مريم ترتجف بشدة وهي في فراشها وتبكي بصوت مكتوم وسجد أحمد لله ودموعه تهطل على سجادة الصلاة وأخذ يسأل الله أن ينزل على قلبها نورا حتى ترى الحق فتتبعه.

انتهى أحمد من صلاته و ظل على سجادته لا يدري ماذا يفعل؟ هل يقوم إليها يسألها أن تغتسل وتشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ؟ أم يدعها حتى يعود من صلاة الفجر في المسجد، وإذا به يقول لها:

- يا مريم يا بنت داوود هل انت مستيقظة؟

مريم تبتسم وهي تبكي وتقول:

- نعم.
- هل سمعت ما قاله المسيح ابن مريم، روح الله، ما قاله حينما سأله الله تعالى قائلا : (انت قلت للناس يعبدونك أنت وأمك؟)
- نعم سمعتك وكأني أسمعها أول مرة يا أحمد.
- ويا ترى بماذا شعرت؟ شعرت بفارق؟
- شعرت بيقين ان ما كنت عليه عدم إيمان وقلة حياء تجاه رب واحد لا شريك له.
- إذن ما رأيك أن تتوضأي وننزل لصلاة الفجر في المسجد وتقولي الشهادة بين يدي الشيخ علي.
- وما رأيك قبل النزول لو توضأت وصليت ركعتين وأتلو الشهادة بين إيدين زوجي؟

يسجد أحمد لله شاكرا النعمة التي أنعم بها عليه، ويثني ثناء عليه أن وهبه نعمة الزواج بمريم وأن ردها إلى الدين الإسلامي الحنيف وظل يستغفر الله ويسبح له حتى عادت مريم وجلست إلى جواره على السجادة وقالت :

- أشهد ان لا إله إلا الله و أشهد أن محمدا عبده ورسوله.

ملحوظة :

الحوار الذي دار بين مريم وزوجها من الإنجيل والقرأن (نقلته من صفحة على الانترنت)

السبت، 6 نوفمبر، 2010

أتى ليبقى

جلست ندى وحيدة وسط الكثيرين من أهلها في قاعة الافراح تنظر إلى أخيها وعروسته بفرحة لهم وبعين حزينة تتذكر يوم عرسها، كانت لا تسمع ولا ترى كل من حولها وهم يضحكون ويصفقون ويتراقصون مع الدي جي.

كان قلبها ينزف وحيدا يتساءل لماذا؟ وبعد مرور ساعة وجدته يدخل إلى القاعة ينظر إليها ويتجه إلى أخيها وعروسه يحييهم ثم يتوجه إلى حيث تجلس، سمعت أمها تهمس إليها ناصحة أن ترفض التحدث إليه، سمعت همسات العائلة وصمت وتوجس الجميع وكأنهم ينتظرون ردود أفعالها.

واقترب منها زوجها الذي هجرها منذ أربعة أشهر، بسبب مشاكل بينها وبين عائلته الدائمة المشاكل، اقترب وفي عينيه نظرات من الحزن والندم والتساؤل، حيا الجميع بكلمات صغيرة ثم جلس إلى جوارها، شعرت بوكزة أمها : لا تضعفي لا تستسلمي.

اقترب منها برأسه متسائلا :

- كيف حالك؟

نظرت إليه دامعة ولم تتحدث، وإذا بها ترى أخاها يقترب من الدي جي ويهمس إليه ثم يتطلع إليها لتسمع إهداء أغنية

Lady لها ولزوجها.

كاد قلبها يمزقها من كثرة شهقاته وأناته، وسمعت زوجها يسألها أن تراقصه، على أغنيتهما المفضلة، وكأنه يسألها:

- هل تسمحين لنا بالعودة؟

أعطته يدها واجفة القلب ووقفت كي تراقصه، وصمت الجميع كعادتهم مترقبين الأحداث متناسين العريس والعروس، ضمها إليه بشوق، كم اشتاق لضمها هكذا طوال الشهور التي مضت بسبب غباؤه، استكانت ندى واضعة رأسها بين كتفه وعنقه تتشمم رائحته،

ولكنها شعرت بالخيانة والاسى وتذكرت كل ما حدث فحاولت الإبتعاد، ولكنه ضمها إليه بشدة مستحلفا إياها أن لا تبتعد هامسا في أذنها:

- ندى لا تبتعدي أرجوك هل تسامحيني على ما كان مني؟.. أعرف أن الخطأ خطأي منذ البداية إذ تغاضيت عن مكر وسوء أخلاقهم، وانت سمحت لهم بإهانتك وتغاضيت عنها من أجل حبنا، وفي النهاية نحن من تعذب وهم لازالوا بنفس السوء لا يتغيروا، أرجوك يا حبيبتي سامحيني، أنا لا أستطيع العيش بدونك، مضت الأيام والأسابيع الماضية قاسية، في كل يوم أغضب منك ومني، كيف سمحنا لهم وكيف سمعت لهم وكيف وكيف، هل تعلمين أنني أتيت إلى بيت والدك عشرات المرات ولم أستطع الصعود؟.. لم تمنعني كبريائي حبيبتي بل منعني خجلي منك وندمي، ندى ألن تتكلمي؟ قولي شيئا؟

نظرت إليه ندى وعيونها مبللة بالدموع ولم تستطع الرد، وجاء الرد ركلة من جنينها.

فنظر إليها زوجها قائلا :

- هو يغار مني عليك ويريدني أن أبتعد الآن؟

فضحكت قائلة :

- هي تغار مني عليك، وتريد أن تكون بين يديك بدلا مني الآن.

.

جويرية والنصف الآخر

جلس الدكتور محمد مع عائلته بعد العشاء يتحدث كعادته اليومية..وبعد مضي نصف الساعة قامت زوجته أم أحمد بأمر بناتهم الثلاث الصغار Kزينب وفاطمة وخديجة بمغادرة الغرفة لأنها تريد التحدث هي ووالدهم إلى أختهم الكبيرة جويرية..اعترضت الفتيات وهن يتغامزن ويتضاحكن على جويرية، ولكن الأم نظرت إليهن نظرة جعلت الدكتور محمد يبتسم وهو يعلم مدى جدية زوجته وحبيبة عمره رانيا ، أم أحمد كما تحب وتصر أن يطلق عليها نسبة إلى أحمد ابنهم الذي مات وهو صغير..خرجت الفتيات على مضض فنظرت الأم إلى جويرية وقالت غاضبة :

- هل يعقل ما فعلته اليوم مع العريس وامه؟
- وماذا فعلت يا أمي؟ ألم تري كيف هم؟
- ماذا تعني؟ أنا واثقة من أن امه الآن تنصحه أن ينسى كل ما يخصك ولا يفكر فيك ثانية، أخشى أنها تقول له، هل يعقل أن أزوجك"واحدة بلسانين"؟
- يا والدي قل شيئا، هل أن بلسانين؟

رد الأب مداعبا ":

- لا انت تمتلكين لسان ونصف يا حبيبة والدك..كفى يا رانيا، ابنتنا رفضت الشاب وهي من ستتزوج وليس نحن.
- هو ليس أول عريس ترفضه وانت توافقها يا محمد.
- انا أوافقها لأنها على حق، العريس الذي سبق هذا كان مدخنا، وأنا ارفض تماما تزويج بناتي لمدخن فهذا لا شرعا ولا صحة يجوز، أما عريس اليوم فإن كان اعجبني كنت تحدثت إلى جويرية لأتفهم سبب رفضها، وابنتك واعية ملتزمة تحكم عقلها قبل قلبها، وإن كان أحدهم يصلح لابنتي لكان لي شأن آخر.
- مرة ثانية ستقف في صفها وتقول ان حكمي خاطيء؟
- حكمك ليس بخاطيء يا أم أحمد ولكن قلبك قلب أم تريد أن ترى ابنتها عروس وترى أحفادها أيضا، دعينا نسمعها ونرى :حدثيني يا جرة العسل، ما هو سبب رفضك لعريس اليوم؟..
- أولا يا أبي نظراته لم تعجبني ليست بنظرات إنسان ملتزم، الرسول صلى الله عليه وسلم قال : انظر إليها لم يقل محصها تمحيصا كما فعل وعلى وجهة ابتسامة

ساخرة لم تعجبني، حتى أمه ألم ترى يا أبي كان ينقصها أن تدخل معي إلى حجرة جانبية تجذب شعري لتراه حقيقي أم لا.

يضحك الأب ويقول

- :ذكرتني بماري منيب في فيلم قديم حينما أخذت معها للعروس بندق وجوز وطالبت العروس أن تكسرهم لها بأسنانها، وجذبت بالفعل شعرها ،هل تذكرينه يا رانيا؟

تكتم رانيا ابتسامة وتنظر إلي زوجها وابنتها وتقول :

- إذن وماذا عن التحقيق الذي فتحتيه معه؟ هذا ليس من الذوق ولا من اكرام الضيف أبدا.
- هو زوج المستقبل يا أمي ومن المفترض أني سأترك بيتي وأهلي وأقضي معه ما تبقى من عمري، وأردت أن اعلم مدى التزامه، فأنا أريد أن يأخذ بيدي إلى الجنة وليس النار.
- هو قال لك أنه يصلي في جماعة وأحيانا أكون الإمام..لم تكتفي سألته إن كان يصلي الفجر في المسجد؟
- يا أمي من يصلي الفجر في جماعة هو من المشائين في الظلمات زي نبينا ما قال عليه الصلاة والسلام ،فما هي حجته ؟ والدي دكتور في الجامعة ومشغول اكتر منه ألف مرة وبالرغم من هذا لم يترك صلاة الفجر ولا الجماعة إلا وهو مريض مرضا شديدا.
- يا ابنتي لا تضعي كل عريس تحت مجهر مقارنة إياه بوالدك، أصابعنا تختلف.
- أمي الحبيبة أنا أقارن في الخلق والتدين وليس في الصفات.. فكلما كان ملتزما ويعرف الله كلما اتقى الله في أنا، ألم تري كيف رد على أمه بحدة حينما قاطعتنا أثناء الحديث؟ هو مدلل تغفر له أنه الكثير ولا يصلح لي، وهذا يجعلني أرفضه تماما يا أمي، كيف يعامل امه في بيت غريب هكذا؟.. وكيف سيعاملني وأنا في بيته؟
- يكفي نقاشا في هذا، لقد أغلق الموضوع كفاية نقاش الموضوع اتقفل ولا تنسي شيئا يا أم أحمد انت شعرت برفضي له بسبب حديثه عن نفسه وكيف جلس يمدح في

نفسه كي نشعر بالتزامه، ثم أنه ليس من مستوانا، أنا اتحدث عن الدين والخلق وليس المال كما تدركين جيدا.

- ماما يا حبيبتي بالله عليك ألا ترين جدتي كيف جمعتك انتي واولادها في العمارة هنا، وكيف تتعاملون معها ؟ كل واحد منكم يجلس معها طالبا رضاها عليها، وأبي يحزن إذا ما فاته مشاركتها كوب الشاي باللبن يوما بعد صلاة الفجر.
- لا عليك يا بنتي ،ربي يكتب لك الخير، هيا إلى النوم فأنا كان يومي طويل مرهق.
- حاضر ولكنني أريد ابي في أمر يخص الجامعة.
- ولكن لا تجعلي والدك يسهر كي يستطيع الاستيقاظ لصلاة القيام والفجر.
- عيني لك يا أحلى ماما،.تصبحين على خير.
- حفظكم الله لي.

جويرية والأب في صوت واحد :

- حفظك الله لنا.
- أبي مشروع التخرج الخاص بي لابد من تقديمه الشهر المقبل قبيل الامتحانات وهو عن مكتبة أي جامعة من الجامعات والخدمات التي تقدمها للطلبة خاصة طلبة الدراسات العليا.
- ومن أجل الوساطة وقع اختيارك على مكتبة كلية الصيدلة لأساعدك.

تضحك جويرية قائلة" :

- يا بخت من كان والده دكتور في كلية الصيدلة، ولكن لا تقلق لن أقول لك أريد من موظفة المكتبة عمل البحث بدلا مني كما يحدث من البعض، أنا أريدك أن تتحدث عن مشروعي مع إحدى المعيدات وتقابلني بها اجمع منها البيانات هي ومسؤولة المكتبة.
- لا يوجد حاليا معيدات لدي ،ولكن اكتبي لي ما تريدين وسأتواصل مع أمينة المكتبة والمعيدين وعند جمع البيانات تأتي معي إن شاء الله.
- سلمت يداك يا أغلى والد في الدنيا..سأكتب لك ما أريد وأسلمه لك صباحا عند ذهابنا للجامعة إن شاء الله.تصبح على خير يا والدي .
- تصبحي على جمال يا جرة العسل.

- كم أحب كلمة جرة العسل هذه، حينما تقولها لي أعلم أنك راض عني، هل ستدللنا دوما حتى إذا ما تزوجنا حرمنا هذا الدلال؟
- ومن قال هذا، سيكونوا أزواج بناتي ولن يقدر أحدهم ألا أن يدللكن إن شاء الله.
- دعواتك يا أبي.
- قومي للنوم يا" ام لسان ونص "حتى لا تفوتنا الصلاة.

تقبل جويرية رأس أبيها وتذهب إلى غرفتها لتحضير الأوراق.

2

يدخل دكتور محمد إلى غرفته بالكلية ويطلب من الساعي أن يستدعي له دكتور أحمد بعد انتهائه من محاضراته، يقرأ الورقة التي اخذها من جويرية والتي كتبتها بخط منمق ومرتب بالعديد من الألوان، ويبتسم لطريقة ابنته في الترتيب والتوضيح.. يدخل دكتور أحمد محييا دكتور محمد.

- أهلا يا دكتور أحمد تعالى عايزك في موضوع.
- خيرا يا دكتور ؟
- ابنتي الكبيرة جويرية في عامها الرابع في كلية آداب قسم وثائق ومكتبات وتريد منا خدمة من مكتبة الجامعة.
- ما شاء الله هل تسمح لي أن أقول أن من يراك لا يظن أبدا ان لك ابنه في الجامعة.
- أنا تجوزت بعد تخرجي مباشرة ،كانت هذه نصيحة والدي نصحني بيها الله يرحمه إن رسولنا قال لنا إن من يستطع الزواج فليتزوج وفعلا كانت نعم النصيحة..المهم يا دكتور، هذه ورقة طلبات جويرية بها بيانات معينة وأسئلة عليك أن تجيب عليها وتعيدها لي كي تدرسها وتستكمل مشروعها وتزور المكتبة هنا كي تقابل الأمناء والمعيدين.

يقرا أحمد الورقة ويرد :

- هي وضعت طلباتها بأسلوب ما شاء الله سهل لي، سأقوم بالإجابة وأرى الزملاء، فتأتي هي بعدما أقوم بشبه استفتاء كما طلبت وسأكتبه واطبعه فخطي رديء جدا لن تفهم منه كلمتان على الأكثر.

يضحك محمد ويسأل أحمد :

- ساختبرك قليلا هل تعرف من هي جويرية؟ وما معنى الاسم؟
- هل هو اختبار تمهيدي ماجستير يا دكتور؟
- جويرية هي السيدة جويرية أخر زوجات- رسول الله صلى الله عليه وسلم -و اسمها الحقيقي كا، برة وغيره الرسول فأطلق عليها اسم جويرية تصغير جارية.
- ولم غير الرسول صلى الله عليه وسلم اسمها؟
- لأنها كلمة تحمل تزكية ويكره التسمية بها.
- بارك الله فيك يا دكتور ويا رب اجاباتك في امتحاناتك المقبلة تكون هكذا فأضمن لك الامتياز مع مرتبة الشرف.
- بارك الله فيك دكتور وفي عمرك وأولادك.
- أنا عندي أربعة من البنا، جويرية وزينب وفاطمة وخديجة.. كان لدي ابن توفاه الله وهو طفل صغير.
- منتظرك في الجنة يا دكتور بإذن الله تعالى.. ربي يصبرك ويحفظ البنات ويحفطك.
- اللهم آمين

يجلس الأب على مكتبه متفائلا خيرا سائلا الله أن يجمع بين ابنته وأحمد، ابن الدكتور عبد الجواد- رحمه الله - والذي كان أستاذه أثناء سنوات دراسته والذي علمه حب الدراسة والعلم وجعل منه كل هذا دكتورا جامعيا موهوبا.

3

تجلس جويرية مع أخوتها وجدتها يتضاحكن على موضوع العريس ويبدأوا في مداعبتها ومعاكستها بأنها تفوقت في تطفيش العريس بكل يسر وسهولة كما فعلت في المرات السابقة فتنهر هن الجدة قائلة :

- هو النصيب يا بنات.. لم يأت النصيب بعد، أسأل الله أن اطمئن عليكن وجميع أحفادي قبل موتي.

البنات يحتضن الجدة ويرجونها بالله أن لا تتحدث عن أمر موتها ثانية داعيات الله أن يمد في عمرها سنوات و سنوات.

قالت فاطمة :

- جدتي لو رأيت الشباب في زمننا هذا، حالهم صعب جدا، لو رأيتهم في الجامعة ستخجلين وتواري وجهك، من يرتدي الملابس الضيقة أو السراويل الساقطة، ومن يرتدي الحلي، أو يحلق شعره تماما أو يربطه كما الفتيات بشريط.

ردت الجدة :

- أراهم على التلفاز يا ابنتي وأيضا أرى بنات حالهن محزن، فأحزن لكل أم تترك ابنتها او ابنها يخرج من بيته بهذه الصورة، حتى الحجاب أصبح هناك فتيات ينطبق عليهن قول نبينا المصطفى (كاسيات عاريات).

قالت زينب :

- يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك.

ردت خديجة :

- الحمد لله اننا نشئنا في بيت يعرف الله وتعاليمه ويحافظ عليها ويعلمها لأولاده وأحفاده.. هي نعمة يا جدتي محروم منها بعض الناس، اللهم اهدنا.

فردت جويرية :

- صح كلامك يا خديجة انت أينعم أصغرنا عمرا ولكنك أكثرنا حكمة يا حكيمة زمانك يا قمر.

وقالت الجدة :

- هيا يا بنات اذهبن لزيارة زوجة خالكم ساعدوها قليلا فهي اقتربت من موعد ولادتها ولا تستطيع العمل كثيرا في بيتها.

فردت جويرية

- : طلباتك أوامر يا جدتي "ارتاح انت ،سنذهب إليها ثم سنقوم بتحضير وجبة الغذاء لأن أمي مع طنط هدى صديقتها في المستشفى تجري عملية جراحية.
- يا رب بالسلامة ويعافيكم من كل سوء يا أحلى بنات..طمأنوني عليها

وبعد الغذاء اسألوا على ابن خالكم الصغير فوالده يقول انه وقع ولكن الطبيب طمأنهم أنها مجرد كدمات في ساقه.

4-

يجلس أحمد على اللاب توب.. بعد عودته من صلاة الفجر وانتهاءه من تلاوة بعض آيات القرآن وأذكار الصباح .. لكتابة البيانات التي طلبها منه الدكتور محمد لابنته جويرية ..أخذ ينظر إلى الورقة المكتوبة بخط يدها ويتمنى لو كان يستطيع تحليل شخصية هذه الفتاة من خط يدها كما يقوم البعض.. فخرج بنتيجة أنها فتاة منظمة وذات عقلية جيدة ومثقفة وتحب الألوان فالورقة مكتوبة باللون الأخضر والأحمر والأسود والأزرق، بصورة محببة إلى النفس .. يبتسم أحمد متهما نفسه بالبلاهة و يبدأ في كتابة ما وصل

إليه من معلومات عن المكتبة سواء ما يخصه أو ما يخص زملاءه الذين ساعدوه بسعة صدر من أجل دكتور محمد الذي يحبه جميع من بالكلية بداية من أصغر موظف إلى العميد .. تدخل أمه ومعها كوبان من الشاي باللبن بالحبهان وبسكويت وكعكات صغيرة تصنعها بيديها من أجله .. فياخذ منها الصينية ويداعبها قائلا" : تسلم ايديكي يا ست ماما"من المفترض أن أقوم أنا اليوم بعمل الشاي باللبن واجلبه لك في فراشك، هذا دوري.

تبتسم الأم وتقول :

- وجدتك مشغولا وقررت القيام والتحرك قليلا حتى يتدفأ جسدي.
- تعالي يا أمي اجلسي في فراشي كي تتدفأي ،هل ستصابين بالبرد؟
- لا يا أحمد هذا الوقت من العام بارد" شهر طوبة بقى على رأي جدتي رحمها الله يخلي الشابة كركوبة"

يضحك أحمد ويداعبها بأنها نصف كركوبة فتضحك الأم قائلة :

- اكمل عملك يا حبيبي ربي يوفقك لما يحب ويرضى.
- في الحقيقة هي بيانات طلبها دكتور محمد لابنته التي تعد مشروع التخرج الخاص بها في مكتبة الجامعة عندنا.
- ما شاء الله بناته كبرن هكذا؟ أنا تعرفت على زوجة دكتور محمد وكانت عروس جديدة، ولكن سفرنا إلى السعودية جعلني انقطع عنها وتمر السنوات وابنتها في سن زواج ما شاء الله.
- سبحان الله لم أكن أعرف هذا.
- والدك رحمه الله كان أستاذه وكان متفائل خير بدكتور محمد، وعلم أنه حيكون رجلا مهما في مجالكم، وبالفعل كان ظنه في محله.
- بالفعل يا أمي لا أزكي على الله أحد أحسبه على خير... مثال للرجل و الأب قبل أن يكون نائبا لرئيس الجامعة.
- ربنا يكرمكم يا حبيبي وأراك أحسن واحد في الدنيا انت واخوتك.
- آمين آمين آمين

5-

تذهب جويرية إلى الجامعة مع أبيها الذي أمضى الوقت عند صلاة الفجر داعيا الله أن تتقابل أرواح ابنته وأحمد وتتواءم، فهو يحب هذا الشاب ليس فقط لأنه ابن أعز الناس لديه، ولكن أيضا لأنه كان يتمنى لو يرى ابنه أحمد رحمه الله مثل دكتور أحمد..يتذكر ابنه الصغير الذي مات في الخامسة من عمره إثر فيروس غريب جعل حرارته ترتفع بدون توقف حتى أثرت على دماغه الصغيرة وقلبه فتوقفا عن العمل و استرد الله وديعته.

تقطع جويرية أفكاره وتسأله سؤال كما لو كانت تقرأ ما بنفسه أو تشاركه أفكاره

- بابا لم لا تحب أمي أن يطلق عليها أحد ما اسم يا رانيا؟ وتفضل أكتر أم أحمد؟
- أنا وأمك قبل انجابكم اتفقنا أن نطلق على أولادنا أسماء إسلامية، وهي كانت تضحك وتقول":يعني مش كانت أمي و أبويا يسموني اسم عدل بدل رانيا دي؟" وأنا أضحك وأقول لها: لا يوجد أجمل منه اسما كما أن معناه حلوا.
- وماذا يعني؟
- رانيا اسم زهرة وفي اللغة يعني القرب، من ران يرنو
- الله الله ... بابا حضرتك لم تقل لي من جمع لي البينات وكتبها على الكمبيوتر؟
- معيد لدي يا جويرية.. اكرمه هو من جمعها لك وقام بعمل الاستفتاء وكتب كل هذا على الكمبيوتر، بالرغم من انشغاله بالامتحانات قريبا.
- كل هذا لأنك رجلا جميلا يا أبي.
- ما هذه الكلمة؟ رجل جميل ؟
- هي كلمة جدتي دوما تقول على جدي رحمه الله رجل جميل من الزمن الجميل.

يدخل دكتور أحمد ويلقي السلام على دكتور محمد وابنته جويرية، ويقوم الأب بالتعريف، يتطلع أحمد إلى جويرية محييا ثم يسألها عن الأوراق التي أعدها من أجلها وهل كانت وافية لها ومفيدة أم لا؟

- جزاك الله خيرا ،حقا ساعدتني كتيرا ولا اظن أنني كنت استطيع جمع البيانات كما قمت انت بهذه الدقة.
- أنا وزملائي تحت أمر دكتور محمد.

- ربنا يبارك فيك يا أحمد. ويجازيكم كل خير .. ثم يلتفت لابنته قائلا: هيا يا جويرية هل ستذهبين إلى المكتبة الآن؟ لدي مقابلة بعد دقائق.. سأمشي معكما حتى مكتبة الدراسات العليا، وهو سيقوم بتعريفك بأمينات المكتبة ومسؤولة الكمبيوتر وبعض المعيدين المتواجدين فيها.
- لم لم تقل لي أن لديك اجتماع، كنت أجلت موعدي.
- سأعود إليك بعد ساعة فلدينا أنا وأحمد أعمالنا ولسنا بمتفرغين لك .

فرد أحمد مبتسما :

- حضرتك أنا لا يوجد لدي أي شيء هذه الساعة وسأتواجد في المكتبة وإذا ما احتاجت الأنسة أي شيء ستجدني معها..
- إذن توكلنا على الله.

.

6-

تعود جويرية إلى المنزل مع والدها بعد الانتهاء من جزء كبير من البيانات التي تريد الحصول عليها وفي السيارة يسألها والدها :

- كله تمام يا جرة العسل؟
- الحمد لله يا بابا وفقت جدا وتبقى لي مقابلة أمينة المكتبة في الأسبوع المقبل، ثم اجمع كل بياناتي وأنسق الدراسة، ولكنني لا أحب مناقشة البحث أمام الملأ إذ أشعر بالتوتر وكلما سألوني كلما زاد توتري..
- دعي ما لله لله واتقني كل شيء بنظام ودقة وبأمر الله ربي سييسر كل شيء وستوفقي، ولكن قولي لي ماذا فعل أحمد؟ هل ساعدك في المكتبة وهل قام أحدهم بمعاكستك؟ فالطلبة لا يرون كل يوم شابة جميلة مثلك.

تضحك جويرية وتقول :

- هل هم وحوش يا أبي ؟ على العكس لم يضايقني أحد وكلهم كانوا مهذبين وعرفني دكتور أحمد على أمينة المكتبة وهي عرفتني على معيدات ومعيدين ربي يكرمهم كانوا منتهى الذوق والتجاوب معايا وساعدوني جدا.
- وأحمد؟
- الدكتور أحمد بعدما عرفني على أمينة المكتبة جلس مع زميل له أو اتنين وجلس يعمل ولكنه قال لي ان اتوجه له إن احتجت إلى أي شيء.
- ربنا يكرمه شاب على خلق ودين وأنا كنت أعلم إنه أحسن واحد يساعدك وسط الشباب ،والده رحمه الله كان رجل على خلق ودين" واللي خلف مماتش فعلا"

تصمت جويرية وتتذكر الدكتور أحمد، بالفعل يبدو عليه الأخلاق والإلتزام حتى أنه يكاد يكون نظر إليها... هو معتدل القامة، مظهره أنه يمارس الرياضة بانتظام وهو هادئ وذا صوت رخيم .. ترى هل هو ملتزم وعلى خلق فعلا؟ أم مثل العريس الذي تقدم لها من أيام؟ تحدث جويرية نفسها

- : ما كل هذا؟ لم أقارنه بالعريس؟

يتدخل الأب :

- فيم تفكرين يا جرة العسل؟

تحمر جويرية خجلا و تقول

- : لا شيء.
- إذن فلنخرج من السيارة وصلنا إلى المنزل وانت لم تنتبهي.

على مائدة الغذاء كان الحديث كله يدور حول يوم جويرية وكيف كان ؟ و كان أبوها ينظر إليها بجانب عينه ليرى ردة فعلها كلما تحدث عما قام به أحمد لمساعدتها فكانت ترتبك وتنظر في طعامها وتصمت على غير عادة.. حتى تضاحكت عليها رانيا والبنات وأخذوا يسألون الأب كيف حدث أن تصمت جويرية هكذا ؟

وعلى الطرف الآخر، استأذن احمد والدته أن يتحدث إليها بعد الغذاء و أخذ يحكي لها ما دار بالجامعة وهي تنصت إليه بقلب أم علمت أن ابنها أعجب بابنة الدكتور محمد و بالفعل تحدث أحمد كثيرا و سأل أمه في النهاية :

- ماذا أفعل يا أمي؟

الأم : أعجبتك؟ إذن نخطبها ونحن الحمد لله نعرف جيدا والدها وعائلتها، نتوكل على الله

- بهذه السرعة؟ هل أحادث دكتور محمد أولا؟
- تصارح الدكتور محمد غدا بإعجابك بابنته وانك تريد خطبتها ونريد زيارتهم بالمنزل.وربي يكتب لكما الخير.

7

في منزل الدكتور محمد تجتمع عائلته وعائلة أحمد في زيارة ودية تبشر بالخير ويتآلف الجميع بكل ود وتتم خطبة جويرية إلى أحمد.

السبت، 4 ديسمبر،2010

سما والظل

ملحوظة قبل قراءة القصة

اعلم أن بعض النساء ستقمن بضربي، وبعض الرجال سيقومون بتحيتي،

ولكن هذا شرع الله تعالى الذي شرعه للرجال، بشرط العدل بين النساء

ووالله أنا رأيت حالات للتعدد بعيني كانت مثالا للحب والتراحم والمودة والعدل.

طالبني البعض أن اضع في القصة آيات وأحاديث عن التعدد والعدل وشروط الزواج، ولكنني أثق أن جميعكم على علم ودراية بها.

نهى

سما والظل

"يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (٢٨)فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي (٣٠)"الفجر

أغلقت سما التلاوة وعادت لتجلس إلى جوار أخت زوجها رحمه الله

فسألتها نبيلة:

- قفلتيه ليه يا ابنتي؟

ردت سما بصوت عال :

- قلت علشان الستات تتكلم براحتها يا أبله.
- عندك حق والله كلهم يتحدثون وكأننا في ناد وليس في عزاء، حسبي الله ونعم الوكيل.

ذهبت النساء الواحدة تلو الأخرى وهن يقدمن واجب العزاء لسما ونبيلة، اقتربت سما من نبيلة وهمست لها :

- لو علي رحمه الله كان يجلس بيننا ماذا كان فعل.
- كان طردهم خارج المنزل وقال : آه من النساء.
- آه يا أبله افتقده منذ الآن، هو لم يكن زوجي فقط.
- أعلم يا سما أعلم والله، كان والدك قبل أن يكون زوج لك،أخي رحمه الله كان حنونا مثل أمي.
- ترى كيف سأواجه الناس بدونه؟ والشركة التي تركها بين يدي ماذا سأفعل بها؟
- الشركة وليدة أفكارك، وأنت أساس كل ركن فيها، وعليك أن تكملي ما بدأته.
- يا رب مد لي يد عونك.
- سأذهب الآن يا سما، أنا معك منذ ثلاثة أيام، ونور على ولادة، والحمد لله انتظرت أيام العزاء ولم تلد.
- كنت اعتقد ستنتظرين معي حتى نبدأ غدا في اعلام الوراثة وهذه التعقيدات.
- لا، سأقابلك هناك، وأريد لفت نظرك لشيء هام، اياك وأن تحزني من اخوتي، فانت تعلمين قسوة قلوبهم ولن نسلم من ألسنتهم، والحمد لله أن أخي علي رتب أموره قبل موته، وإلا كانوا وقفوا لنا في المحاكم مطالبين بما أخذناه.

- آه لو يأخذوا المال والشركة ويعيدوه لنا؟
- يفعونها ولكنهم لن يعيدوه خوفا من أن يأخذ كل هذا من أعينهم.

تضحك سما وتبكي في أحضان نبيلة.

- بكفى بكاء يا سما ،هيا خذي حماما والجأي إلى الله بصلاتك وقرآنك ودعاءك له أن يرحمه الله.

جلست سما تقرأ القرآن في غرفتها ثم أغلقت النور وجلست تناجي ربها، تسأله أن يعفو ويرحم زوجها و أن يجعل قبره روضة من رياض الجنة وأن ينيره بنوره الكريم، وبدأت تستعيد ذكرياتها في بيت والدها وهي تبكي حينما قرر أبوها أن تكتفي بالسنة الأولى الثانوي التجاري وأن تذهب للعمل في مكتب المهندس علي لعدم قدرته على دفع مصاريفها الدراسية ولكي تشارك في مصاريف البيت وتربية أخوتها الصغار.

كان والدها عم عبدالله رجل فقير يعمل ساعي في مكتب الباشمهندس علي.

ساعتها قالت سما بين دموعها :

- ولكن يا أبي أنا أريد استكمال دراستي ودخول الجامعة.
- أي جامعة يا ابنة عبد الله، هل أزرع لكم المال على شجر؟ ألا يكفيني طمع امك، وحاجات اخوتك؟ هيا بدلي ثياب المدرسة حالا كي نذهب فتقابلي مهندس علي واسألي الله أن يوفق على توظيفك.

وفي مكتب المهندس علي، صاحب المكتب الصغير للكمبيوتر وخدماته، تدخل سما إلى غرفته بصحبة والدها، ويهش علي لرؤيتها كعادته منذ كانت طفلة صغيرة ويقول: كنت أتسائل عن سبب إشراق السماء، وإذا بي أجدك عندنا.

تبتسم سما في حياء والحزن يملأ قلبها وتبدا في الحديث ليقاطعها والدها:

- سما يا باشمهندس مش عايزة تكمل دراسة وقررت انها تشتغل وانا قلت اقصدك اهو تساعدك في كتابة المشاريع اللي الطلبة بيجيبوها لحضرتك وتبقى ايدك اليمين.
- أوافق بشرط واحد.

- "خدامينك يا بشمهندس"
- على سما أن تستكمل دراستها كي تفيدني أكثر، تأتي إلى المكتب بعد المدرسة يوميا.
- ولكن..
- عليك أن تشجع ابنتك على الدراسة، حتى الجامعة، أليس كذلك يا سما ؟ ألم يكن حلمك دخول كلية التجارة والالتحاق بعدة دورات للحاسب الآلي وبرمجته؟

ردت سما

- : نعم ولكن.

علي : هيا يا سما ومن الغد سأبدأ بتدريسك بنفسي إن شاء الله.

ويمر عامان وتتخرج سما من الثانوية التجارية وتنبغ في مجال الكمبيوتر والبرمجه على يد استاذها علي، الذي يفاجأها بطلب الزواج منها يوم إعلان النتيجة، تسمرت سما من المفاجأة ولم تعرف بماذا تجيبه ولكنه أعلمها أنه يفهم حيرتها، ويدرك فارق السن بينهما ولكنه يريد لها الكرامة والحب بعيدا عن بيت ابيها وطمعه، ويريدها ان تكمل تعليمها ودراستها كمبرمجة في المجال الذي تهواه، وبالفعل تزوجت سما من علي وأكملت دراستها ونبغت في مجال البرمجة ،وقامت هي وعلي بالتوسع في الشركة لتصبح شركة كبيرة للبرمجة والكمبيوتر وخدماته.

ومرت الأعوام ولم يكتب لهم الإنجاب، إذ أن علي لم يكن ينجب ولكنهما كانوا سعداء، كانت سما حبه الكبير وابنته وشريكته في الحياة والعمل، وكان علي لها ابا وزوجا ومديرا وأحيانا ابنا تقوم بتدليله، قامت سما بواجبها نحو عائلتها.

مات الاب وترك الام والابناء أمانة في رقبتها فأدت الأمانة هي وزوجها وماتت أمها وتزوج أخوتها وأخواتها بعدما أكملوا دراساتهم. وفجأة وبدون مقدمات يمرض علي وتعيش سما في دوامة العلاج والأطباء والعمل، يساعدها في العمل محمود مهندس شاب تتشابه ظروفه كثيرا معها، إذ أنه كان يعمل مع زوجها ومعها وهو طالب فقير في إعدادي هندسة.

ويموت علي وقبل موته بعدة أشهر يقوم ببيع الشركة لها بعقد بيع،حتى لا يقوم أخوته بأكل حقها، فالشركة كما قال هو ابنتها التي لم تنجبها ولولاها لما كانت، ويعطي أخوته وأخته نبيله حقهم الشرعي من الميراث، يموت وهو راض عنها وأخر كلمة يقولها لها:

- كنت لي نعم الزوجة وافنيت سنوات شبابك معي، كوني سعيدة.

تمر الشهور وتعود سما للعمل وكأنها تعود مرة أخرى لبيتها الثاني أو لإبنتها كما كان يقول علي ،وفي يوم جلست سما تتناقش مع محمود عن برنامج جديد كان لابد من تسليمه وبه بعض الأخطاء.

- مهندس محمود البرنامج كان لابد وأن يتم تسليمه منذ ساعتين.
- أعلم هذا، اكتشفت الأخطأء وقمت بإبلاغ صاحبه على التأخير.
- أرى أنك مشغول هذه الأيام ومرهق هل أنت محتاج لأجازة؟
- لا أبدا سأقوم بمراجعة البرنامج معك حالا.
- لدي مقابله حالا مع عميل ،أكمل عملك وعد لي بعد الانتهاء منه في خلال ساعة إن شاء الله.

يخرج محمود فتبدأ سكرتيرتهاهيام في حوار مع سما :

- مسكين يا أستاذة، منذ معرفته أن زميلته في الجامعة التي كان يحبها هجرته وتزوجت وسافرت وهو كما ترين.
- هيام توقفي عن النميمة؟
- هي ليست نميمة، أنا أقول لك هذا كي تعذرينه.
- كما الدجاجة الأم انت دوما، لذهبي إليه كفكفي دمعه، فلدينا عمل لابد وأن ينتهي اليوم .

تضحك هيام وتبتسم لسما بحب كأم لجميع موظفي المكتب وتقول:

- بالرغم من أن محمود يصغرك بعدة أعوام..

تقاطعها سما

- بسبع سنوات يا هيام أنا سأصير في الخامسة والثلاثين.

- وما في ذلك؟ هو عقله وخلقه كعشر رجال.
- عن ماذا تتحدثين؟ لم يمر عام على وفاة علي رحمه الله.
- يا ابنتي علي كان يتعامل معك كابنة له اكثر منك زوجة، انت في حاجه للحب مش باقي البشر، هل نسيت كلمته قبل موته؟
- وهل يعني هذا أن أسابق الأيام واتزوج؟
- الستات أيام نبيك-صلى الله عليه وسلم- كانوا إذا أصبحن أرامل يخطبن ويتزوجن مجرد انقضاء شهور العدة.
- انتي عايزة الناس تاكل وشي كمان؟
- هم يتحدثون في كل الأحوال.
- ماما هيام الله أكرمك قومي بدور الخاطبة مع غيري.

تخرج هيام وابتسامة تتلاعب على شفتيها وتذهب إلى محمود قائلة:

- هل تعمل على البرنامج ؟
- نعم وفي أقل من ساعة سأكون قد انتهيت.
- الحمد لله يا ابني هي الأستاذة تثق بك وفي شغلك.
- الحمد لله ولكنني حزين لتصيري معها .
- هي مقدرة وتشعر أن هناك أمرا ما، والحمد لله مر الأمر، المهم بقى انا عايزاك تنسى موضوع زميلتك بقى وتفوق وعايزة أخطبلك.

رد محمود ضاحكا :

- الزملاء قاموا بتحذيري منك، فالدور هذه الأيام علي في الشركة.
- يا بني الزواج ستر للشاب وحفظ، هل تعرف من هي عروس المستقبل التي اخترتها لك؟
- انتظري قليلا، أنا أعيش ووالدي وأخي في منزل أصغر مما تتخيلين، ولا مال أيضا لدي للزواج حاليا.
- هي لا تحتاج مالا ولا منزل، يكفيها رجل ملتزم.
- هذا في الأحلام يا ماما هيام، نحن في عام.2010
- ليس حلم، فقط فكر في كلامي.

- اتزوج وأنا لم انتهي من صدمتي وحبي لإنسانة أخرى؟
- ولم لا، زواج ينسيك علاقة سابقة.
- منطق غريب، لا أعلم.
- ملا تفكر، فقط دع كل شيء لي.

تفلح هيام بحبكاتها في التقريب من سما ومحمود ويتم زواجهم بعد مرور عام على وفاة علي، تعيش سما أيام سعادة لا توصف مع محمود، إذ أنه كان شابا متدينا دمث الأخلاق محبوبا، وكان يتعامل معها على أنها ملكة.

وتمضي الايام وتستيقظ سما متعبة وتطلب من محمود ان يسبقها إلى العمل ويستحلفها محمود أن تظل في فراشها وأن لا تتحرك وترتاح فهي تجهد نفسها كثيرا.

يذهب محمود وتظل سما في الفراش تتقلب وتتعجب للإرهاق الذي تشعر به، هل من المعقول أن تكون؟ لقد اقتربت من السادسة والثلاثون، هل هي؟؟

هبت من فراشها وأمسكت بالهاتف لشراء تحليل الحمل من الصيدلية، أنا حامل، معقول؟؟؟ بعد سنوات طوال ؟سأصبح أما؟ ماذا سيفعل محمود حينما أخبره؟.. هل أحادثه الآن هاتفيا؟ أذهب إلى المكتب؟ لا سأنتظره لأخبره في المساء.

بعد ساعات طويلة يتحدث محمود إلى سما هاتفيا ليبلغها أنه سيتأخر

- ما بك يا محمود؟
- لا شيء فقط أريد التجول بالعربة قليلا، أشعر ببعض الضيق، لن أتأخر.

تمر ساعتان ويعود محمود إلى المنزل وهو زائغ البصر ومنهك، يجد سما وهي مرتديه أحلى الثياب وتنتظره نائمة على الاريكة، بجوار مائدة للعشاء غاية في الرومانسية، ينحني محمود بهدوء ليوقظها فتستيقظ مبتسمة قائلة:

- لا أدري ما كل هذا النوم، امضيت اليوم نائمة.
- هيا إذن إلى فراشك.
- بعد العشاء.
- لا أريد أن أكل، لو جائعة سأجلس معك.
- لا هيا خذ حمامك لنجلس ونتحدث .

تشعر سما بضيق شديد وبأن محمود يحمل فيداخله حزن وأفكار غير محببه ولكنها تستغفر الله وتقوم بتوضيب المائدة ووضع الطعام وتنتظره حتى يعود.

- نعيما
- أنعم الله عليك حبيبتي.
- تعالى اجلس إلى جواري واحكي لي.
- لا شيء سما، بعد الضيق سيمر.
- المكتب كانت الأمور فيه جيدة بدون مشاكل اليوم، هل هو والدك؟ أخيك؟
- الإثنان بخير.
- استحلفك بالله ما بك؟
- لا شيء يستدعي كل هذا ؟
- انظر لي يا محمود، انت لم تنظر إلى عيني منذ وصولك.
- زميلة لي في الجامعة طلقت وعادت إلى مصر وحادثتني وحزنت من أجلها.
- زميلتك في الجامعة كانت قريبة منك هكذا؟
- نعم زمالة وخمس سنوات في الجامعة.
- زميلتك أم حبيبتك القديمة؟
- ماذا؟
- حكيت لي عنها قبل جوازنا أنسيت؟
- أنا متعب يا سما وأريد أن أنام هل من الممكن أن نستكمل حديثنا في الغد؟
- لا..عادت لك نادمة لم تجد سعادة مع زوج غني وطلقت منه؟ عادت ترجوك العودة والزواج منها؟ كنت في الأول فقير والآن أصبحت مقتدرا وتعمل بوظيفة جيدة؟ ألم تعلم أنك أصبحت زوجا؟ أم تعلم أن زوجتك تكبر سنا فقالت لك طلقتها كما تزوجتها بالمعروف؟
- ما الذي تقولينه؟ لا ولن أسمح لها ان تتحدث عنك بكلمة.
- سمحت لها أن تجعلك تفكر فيها ثانية وتميل إليها تحيي الحب الذي لم يمت بقلبك.
- سما.
- هل تعتقدني عمياء.اعلم انك احببتني ولكنني أعلم أنه باستطاعة الرجل أن يحب عدة نساء بقلب واحد ويستطيع التزوج بأربع، ولولا أن قال الله أربعة لكنتم تزوجتم بالعديد منهن.

- أرجوك دعينا نقوم نتوضىء نصلي ركعتان لله وننام.
- حاضر يا محمود ولكن قبل أن تتخذ أي قرار لابد وأن تعلم، أنا حامل.

استيقظت سما قبيل الفجر بنصف الساعة لتصلي وتقرأ القرآن كعادتها، شعرت بأنها منهكة لا تعلم كيف ولا متى نامت، ونظرت إلى مكان محمود فوجدته كما هو لم يمس، خرجت من الغرفة لتجده على سجادة الصلاة يقرأ القرآن.

نظر إليها فقالت له :

- صل استخارة يا محمود، كي يلهمك ربي الصواب.

تجلس سما في انتظار صلاة الفجر وتتساءل وهي مصدومة، ما الذي قلته له؟

الرجال يتزوجون بمثنى وثلاث ورباع، صل استخارة؟ ماذا إن اقتنع بكلامي؟ كيف سأفكر حينها؟ وماذا عن زميلته؟ ستوافق؟ ستطالبه بتطليقي؟ محمود على خلق ومتدين، لن يوافق أبدا، ولكن إنه هجرته عندها قد يعيش معي ما تبقى لي من عمري جسدا بلا قلب، أنا لا استطيع تركه، وما ذنب جنين يسكن أحشائي؟..ما ذنبه أن يعيش في أشرة مفككة أو مطلقة؟ يا رب يا عالما بحالي أغنيك عن سؤالي.

سمعت سما الآذان فارتاح قلبها وهدأت، وجاء إليها محمود ليخبرها أنه سينزل للصلاة فوجد دموعها تجري على خديها.

- استحلفك بالله توقفي عن البكاء

شعرت سما أنها في كابوس وأن ظلال هذه الفتاة تطبق عليها تخنقها ولم تعد تعلم ماذا تفعل وجلست تستعيذ بالله من الشيطان الرجيم وتذكر الله وهي تنظر إلى شروق يوم جديد، ثم صلت ركعتان حينما أشرقت الشمس وانتظرت محمود الذي سألها:

- ما رأيك لو قمنا بالتجول قليلا وذهبنا لنتناول وجبة الإفطار قبل ذهابنا إلى المكتب.
- لا أريد طعاما؟
- المشي والأكل الخفيف مفيدين للأم والجنين، اعتذر لم اتكلم معك أو أعلق على حملك، لم أكن أريد الحديث وأنتي غاضبة، فهذا غير جيد لك.
- لا عليك.

- إذن هيا بنا.
- هيا.

وفي المطعم نظر محمود إلى سما التي بادرته سائلة:

- فكرت في كلامي؟
- كلامك غير منطقي؟
- فلنكن واقعيين، إن استمرينا نتجاهل ما حدث سنخسر كثيرا وندمر حياتنا، زميلتك في الجامعة تزوجت وهي بتحبك ووالدها رفضك لأنك كنت فقيرا، سيطرت عليها ظروف أقوى منها ومنك، والظروف الآن تيسرت.
- سما الحوامل دوما يفكرن بطريقة عاطفية، وليست جنونية.

تبتسم سما وتقول :

- صدقني كلامي منتهى العقل، هل أن أسألك سؤالا وتجيبني بأمانة؟

كما يقول مهندس سامي دوما: shoot me

هل لا زلت تحب شيرين؟

يصمت محمود ولا يدري كيف يرد بدبلوماسية:

- السكوت علامة الرضا، أعلم أنك بين نارين، وأنك لا تحب أن تغضبني أو تكسر قلبي، وأنك ملتزم، أنا أحبك ولا اتخيل حياتي مع طفلي أو طفلتي بدونك، واعلم أيضا ان استمريت معي بدون شيرين، ستعيش معي بقلب نادم، تزوج بها يا محمود، أنا راضية بهذا ولا أريد أن أحرم منك.
- هل أنت مدركة لكلامك هذا؟
- أنا حامل ولست بمجنونة، هو شرع الله، أعلم أنني سأواجه صعابا، ولكن حبي لك وثقتي من أنك ستحاول وسعك في العدل بيننا يجعلني مستعدة لهذا، ولكن هل ستوافق هي على ذلك؟
- لم أناقشها ولم يدر بخلدي أي شيء من هذا حينما حادثتني ونزل علي كلامها كالصخر.
- ولكنك فكرت في كل هذا الآن.

- سما توقفي، افهمي شيئا واحدا، أنا لم أتخيل أبدا أن أتركك من أجلها، أنا لست بغادر، وما بيننا حب وعشرة جميلة.
- أعلم هذا تمام وإن هي وافقت فأنا أيضا أعلن لك موافقتي.هيا إلى المكتب؟

ومرت الشهور وأنجبت سما طفلة جميلة اطلقت عليها اسم دنيا، وكان معها أثناء الولادة يشاركها الآلام، أخت زوجها السابق، زوجها الحبيب، وزوجة زوجها الحامل.

الكاتبة في سطور

*نهى نبيل عاصم

*مواليد الإسكندرية

*ليسانس آداب قسم وثائق ومكتبات

*دبلومة ترجمة للغة الإنجليزية

*أعمل كمتطوعة أساعد الطلبة والطالبات المكفوفين في مكتبة طه حسين بمكتبة الإسكندرية.

اكتب منذ عدة سنوات المقالات والقصص والروايات والخواطر النثرية.

تم نشر ثلاثة قصص لي في ثلاث أجزاء في كتب جماعية لمجموعة من الفتيات والنساء مع دار أطلس بعنوان:

"حواديت البنات"

قمت بكتابة كتاب جماعي مع مجموعة من الكاتبات مع دار نشر البشير بعنوان

نون بلا سكون.

كتبت مجموعة قصص للأطفال وأقوم حاليا بالضبط والمراجعة لنشرها قريبا.

أكتب الخواطر النثرية على الفيس بوك وفزت بعدة جوائز في بعض الجروبات والصفحات.

فزت بجائزة تقديرية من فعالية أكوا للإبداع في مسابقة للقصة القصيرة بعنوان:

"الشمس تشرق من جديد"

كما أنني اشتركت في كتاب للشعر والخواطر جماعي عبر دار همسة.

قمت بطباعة بعض من قصص هذا الكتاب من خلال دار همسة للنشر بعنوان:

"سمية والقمر"

مشتركة حاليا بعدة مسابقات للقصة القصيرة والسيناريو والرواية.

قمت بكتابة رواية جديدة جاري العمل على نشرها.